شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية 15/11/2012 (121)

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته   سفر الخلود ومعهدُ الآثارِ

مملكة تقتلها الوحدة وغزّة!



إقالة وزير الداخلية أحمد: الجيل الثالث صاعداً!

هـذا الـعـدد

الدولة الحاقدة

حين يرد ذكر الحقد، يحضر مثال الجمل، وقد سرى على ألسنة الناس عبارة (أحقد من الجمل)، ومن حقده أن يصبح هدفه الوحيد الانتقام من الشخص الذي أساء اليه، فيجلس يراقب ويتحيّن الفرصه والحقد في عينيه. يقول أحد ملّاك الأبل: (سبحان الله نحن ملّاك الإبل ننظر الي عين البعير ويبين لنا الغدر)، وخاصه في وقت الهياج. ويقال بأن الجمل لا ينسى انتقامه حتى وان مرت سنين طويلة، وقالوا يصل حقد الجمل الى (١٠) سنوات، وقد قالوا: (لا غدر مثل غدر البحر، ولا حقد مثل حقد الجمل).

نقل عن الإعلامي المصري الكبير محمد حسنين هيكل قوله بأن (حقد آل سعود أكبر من مصالحهم)، فهم على استعداد لتغليب حقدهم على مصالحهم الخاصة والمباشرة، وهذه من السمات البارزة في شخصية الأمراء.. وبحسب تقرير سري أعدّه بصورة مشتركة كل من لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الأميركي ولجنة من وزارة الخارجية، وقدّم في بداية عهد الرئيس الأسبق بيل كلينتون في يناير ١٩٩٢، فإن من طبائع العائلة المالكة أنها تتصرف كمافيا ولا تتردد في فعل أي شيء!

ويقول العارفون بشؤون قصور الأمـراء، ومن اقتربوا منهم ردحاً من الزمن أن الحقد لا يكاد يفارقهم، بل يكاد يصبغ تصرفاتهم وأحاديثهم. حتى وإن حاولوا إخفاءه، فإنه ما يلبث أن يظهر في كلمة أو غمز ولمز من بعيد. ينقل أحد وجوه الحجاز بأن الملك فهد سمع كلاماً عنه في أحد المجالس الخاصة، فأضمر سوءاً للرجل الذي نسب إليه الكلام، فاتصل به في آخر الليل فقط ليكيل له الشتائم القذرة ثم أغلق الخط.

لا يتردد أحدهم ملكاً كان أو أمير محافظة في أن يختار الوقت والمكان كيما يحقق ذاته الحاقدة ضد من يعتقد بأنهم أساؤوا إليه.. ويقال بأنهم يضمرون الحقد لفترات طويلة، وينتقمون ممن يمتنع عن الاستجابة لمطالبهم، والرضوخ لهم..فقد أحرقوا مخازن تجّار لمجرد أنهم امتنعوا عن حضور المجلس الاسبوعي لهذا الأمير أو ذاك، وقد يمرر أحدهم رسائل حقد الى من يعتقد بأنه تجاوزه وذهب الى غيره، فالحقد له شكل خاص هنا، فحين يقرّر وجيه الذهاب الى العاصمة لنقل شكوى أو للمطالبة بحقوق لأهل منطقته، ثم يسمع أمير المنطقة عن ذلك، فإنه لا يكتفي بمجرد الحقد على من تجاوزه، بل يضمر له الشر لينتقم منه يوما ما.

الحقد بين الأمراء أنفسهم مألوف، ولذلك فهم يتصرفون على أن الكل عدو الكل، ولكن حين يأتي الأمـر على الناس والعائلة المالكة يصبح حقد الأخيرة موجّهاً صوب الناس، وقد قيل: (عند الشدائد تذهب الأضغان)، فطالما ليس هناك خطر يتهدد الكيان، فإن الأمراء يتحاقدون فيما بينهم، لأن كعكة السلطة مازالت محفوظة ويقتصر التنافس على مجموعة صغيرة، هم عدد أفراد الأسرة المالكة، إما إذا قرر الشعب أن يدخل الى حلبة التنافس، فيتوحّد هؤلاء ضد الشعب..

أشكال الحقد لدى آل سعود متنوّعة، وقد تنعكس على السياسة الخارجية في أحيان كثيرة، وقد بات معلوماً أن ضلوع الملك وسعود الفيصل وبندر بن سلطان في الملف السوري ليس لأنهم حريصون على دماء السوريين أو حباً في نشر الديمقراطية بقدر ما هو تعبير عن تصفية حساب شخصي مع بشار الأسد، الذي وصف رؤساء العرب بعد حرب تموز على لبنان بأنهم (أشباه الرجال)، فيما وصف نائب الرئيس السوري فاروق الشرع السياسة الخارجية السعودية في العام ٢٠٠٣، بأنها مصابة بالشلل. حقد الملك عبد الله على الرئيس الليبي معمر القذافي كـان غير خـاف، وهـو أحد محرّضات التدخل السعودي في الثورة الليبية وعسكرتها.

ينقل سياسي عراقي كان ضمن وفد يضمُّ ممثلين عن الحكومة العراقية وينتمي أغلب أفراده الى الطائفة الشيعية، جاءوا الى الرياض والتقوا بالملك عبد الله، فالتفت الى أحد أعضاء الوفد وكان من السنّة، فقال له: دفعنا لكم مليارين دولاراً لكي تسقطوا نظام المالكي الشيعي ولم تفعلوا، فتدارك هذا العضو الوضع ونبّه الملك الى وجود أعضاء شيعة في الوفد، ومع ذلك، لم يكترث، لولا أن هذا العضو قرر تبديل موضوع الحديث بعد ذلك.

حقد الأمراء الكبار والصغار ينسيهم أحياناً كونهم رجال دولة، فيتصرفون على طريقة الهواة أو أعضاء في عصابة، يظهر ذلك أحياناً كثيرة من خلال كلامهم لوفود الوجهاء الذين يحملون إما مطالب خاصة بمكوّنات سكانية أو يشتكون من ظلم أحد المسؤولين. الأمير نايف، ولي العهد ووزير الداخلية الأسبق، كان يتصرف أحياناً كما لو أنه ممثل لفئة أو جماعة صغيرة، فيقول للمرحوم الشيخ محمد عبده يمـاني، وزير الاعلام والثقافة الاسبق، بعد انتخابات أول مجالس بلدية العام ٢٠٠٥، بأنه (لا تفرحوا طويلاً هذه مجرد لعبة)، وكأنه يريد تصفية حساب شخصي مع متحدّثه. وينقل عنه أنه قال لوفد من المنطقة الشرقية (مشايخنا لا يحبونكم)، فهل هذا منطق رجل دولة؟ وما عباراته المتكررة حول (سلفية) الدولة السعودية في بلد متعدد المذاهب والمشارب الأيديولوجية.. الا دليل على أن الرجل كان يعبّر عن مكنونه الخاص وليس عن مكنون رجل الدولة.

لابد أن لدى من تداخل مع الأمراء قصصاً كثيرة حول حقد العائلة المالكة، وهناك من اكتوى به، ودفع أثماناً من حياته، وأمواله، وأبنائه. لأن الحقد حين يصبح دولة، لا يصلحها الا قطع دابر الحاقدين.

ما بعد حرب غزة الثانية: مملكة تقتلها الوحدة

هل تقفز مصر من العربة السعودية؟

محمد قستي

لا أحد يسمع صوت السعودية اليوم في الأحداث والمنعطفات الجارية!

لم يكن الأمر عدم رغبة في سماع الصوت السعودي الرسمي، ولكن لأنه ليس هناك صوتٌ أو موقف في الأصل!

بدأت حرب غزة الثانية، فكانت اختباراً متعدد الوجوه: اختباراً لمصر وما إذا كانت قد امتلكت قرارها المستقل، ووضعت رؤيتها ومصلحتها الخاصة الجديدة فوق أي تحالفات سواء ضمن ما سمي بفريق الإعتدال العربي، أو ضمن المسار الموادع للغرب والولايات المتحدة بشكل خاص.

وحرب غزة الثانية مثّلت اختباراً أيضاً للسعودية، التي بدأ وزير خارجيتها العليل.. العمل، بعد تعطل الوزارة أشهراً عديدة بسبب مرضه.. اختباراً لما يمكن لها أن تفعله وهي تشهد نفسها وحيدة صامتة لا جرأة لها في اجتراح موقف خاص بها، ولا تريد أن تلتحق وتغيّر مواقفها النمطية سواء من الحكم المصري الجديد، او من حماس في غزة، أو من رؤيتها العامة للصراع مع الصهاينة.

حتى كتابة هذه السطور، فإن الصمت السعودي سيّد الموقف، والإعلام السعودي الداخلي يستعرض أخبار غزة كخبر ثالث أو رابع من حيث الأهمية، وكأنه ينقل عن حدث يجري في جزر واق الواق! أما الإعلام الخارجي، الذي مثلته العربية والشرق الأوسط، فأولوياته للموضوع السوري، وشتم الإخوان وحكمهم في مصر، ومتابعة اية خبر مضاد لإيران والسودان والعراق وحتى الجزائر!

وفي الوقت الذي كان فيه الإعلام العالمي يضع خبر غزة في مقدمة الأخبار، بما في ذلك البي بي سي الإنجليزي (الراديو والتلفزيون العربي والإنجليزي) نجد التغطية للعربية ـ وكما كانت في حرب غزة ٢٠٠٨ ـ مبتهجة وهي تنقل عن المصادر الإسرائيلية والشخصيات الصهيونية مبرراتها للقتل والحرب!

في حرب غزة الأولى، كانت مصر والسعودية في قارب واحد، وكان العالم العربي يعيش حالة من القمع غير مسبوقة، فسهل تضييع الدم الفلسطيني بين القبائل/ الحكومات العربية، ولم تستثن السعودية إلا قليلاً!

في الحرب الثانية التي لازالت جارية، تستطيع ان تلمس الخوف السعودي من سياسة التميّز سلباً، دون أن يمنع ذلك من تقييم الموقف السعودي بالسلب كليّاً، ودون أن يمنع ذلك الإعلام السعودي ـ الخارجي بالذات ـ من تمييز نفسه عن النسق الإعلامي العربي المعتاد في هكذا حالات، وهو الوقوف الى جانب المضطهدين في غزة، أو حتى الفرح بصواريخهم التي أوصلوها الى تل أبيب.

لا.. السعودية واعلامها ليسا سعيدين بما يجري، والإختبار صعب!

السعودية التي تقتلها الوحدة، والتي كانت تركب ظهر مصر، وتستخدمها قفازاً لتمرير سياساتها الخارجية او التغطية عليها، تجد نفسها اليوم مكشوفة امام الملأ. كان الجميع يسأل فيما مضى: وأين هي السعودية مما يجري؟ الآن لا يوجد سوى التجاهل، إذ لا يمكن التعويل إلا على من يتحرك من الدول. الدولة القائدة هي بالقطع ليست الدولة النائمة المتخلّفة عن الركب والجبانة والمعادية للضمير الشعبي العام.

نعم.. كان هناك ولازال سؤال: وأين هي تركيا؟!

لا أحد يريد أن يتحدث عن الدور الإيراني في حرب غزة. لا عن صواريخ فجرها، ولا صواريخ غراد سورية الصنع، ولا جهود حزب الله في تهريب تلك الصواريخ من أنفاق غزة؛ ولا دور السودان الذي بقي لسنوات يستلم شحنات الأسلحة لتهرب مسافة مئات الكيلومترات حتى غزّة شمالاً! وقد دفع السودان ثمناً لذلك، قصف بالطيران الإسرائيلي مرتين، كان آخرها قبل نحو شهر حين قصف مصنع أسلحة قيل أنه إيراني! وكانت تغطية قناة العربية تلفّها السعادة والحبور مما جرى!

يمكن تغييب الدور الإيراني اعلامياً لأسباب طائفية وسياسية، ولكنه من الناحية الفعلية حاضر بقوة في كل صاروخ تطلقه القاسم وسرايا القدس وألوية الناصر صلاح الدين وغيرها من الفصائل.

ولكن ماذا عن دور بلد كبير مثل السعودية أو مثل تركيا؟ أين هما هاتان الدولتان المتطلعتان الى الزعامة في منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي؟

مصر التي تحاول أن تخط لها دوراً مختلفاً في السياسة الخارجية، لم ترد إحراج السعوديين وتركهم لمصيرهم ومقت

الشعب العربي.. فاتصل الرئيس المصري محمد مرسي مساء الخميس ٢٠١٢/١١/١٥ بالملك عبدالله، لتنسيق الخطوات، او على الأقل لتوضيح موقف مصر الجديد. لكن الملك السعودي لم يشأ مجاراة الموقف المصري، وبقي في مكانه ضد أي تدخل او نصرة لشعب غزة. اكثر من ذلك، فإن الملك عبدالله ـ وحسب وكالة الأنباء السعودية واس ـ قال لمرسي: (لا بدّ من تهدئة الأمور وإحكام العقل وألا يغلب الإنفعال على الحكمة والتدبر)! ومفهوم ماذا يعني هذا! انه يعني في أقل الأحوال سوءً: (اللاموقف؛ واللادعم) لغزة، كما انه يعني في أسوء الأحوال: اتهاماً ضمنياً لحماس والفصائل الفلسطينية بأنها منفعلة وغير متدبرة وغير حكيمة. بل قد يكون المعنى أبعد من ذلك ليشمل الإتهام مصر نفسها وما اتخذته وما ستتخذه من خطوات تجاه القضية، عشية زيارة رئيس وزراء مصر الى فلسطين.

هذا المعنى هو بالضبط نفس الموقف الذي اتخذته السعودية عام ٢٠٠٨ في حرب غزة الأولى؛ وهو لا يختلف كثيراً عن موقف السعودية في حرب تموز ٢٠٠٦ حيث أصدرت بياناً نددت فيه بحماس وحزب الله ووصفتهما بالمغامرين، كما نتذكر!

في الحقيقة لا يوجد عربي يراهن على الموقف السعودي. فالسعودية بكامل أركانها يمكن أن توصف بأنها مشلولة القدرة، حتى مع توفر الإرادة. فالنظام العجوز الخرف ضعيف الحركة والمبادرة خائر القوى. هو بلا همّة ولا عزيمة، ولديه مشاغل داخلية تغنيه عن الانخراط في مشكل فلسطيني يجلب عليه غضب اسرائيل وأمريكا والغرب.

تأتي أحداث غزّة لتعرّي النظام السعودي. تعرّي أيديولوجيته التكفيرية ومنهجه السياسي، إن لم نقل تواطأه مع العدو، ووقوفه ضد المجاهدين في غزة من مختلف الفصائل.

يقف النظام السعودي اليوم وحيداً بين من أسمتهم أمريكا (حلف الإعتدال العربي)!

فها هو ملك الأردن يتعرّض لأخطر امتحان منذ أن قامت الدولة الأردنية الحديثة، وتطورات الأوضاع هناك لا تبشر بخير للعائلة الهاشمية التي بنت دولة حامية لحدود اسرائيل. هناك أمرٌ ما انكسر في الأردن، والخيارات المرجحة: إما سقوط النظام كاملاً؛ أو تعديلات هيكلية في النظام السياسي الأردني. ملك الاردن مشغول بنفسه.

وفي الخليج، هناك آل صباح مشغولون بالحراك الشعبي المطالب بتقليص صلاحياتهم، في أجواء تضغط من أجل ملكية دستورية.

وفي البحرين لازال لهيب الثورة قائماً منذ أكثر من ٢٠ شهراً.

والإمارات مشغول (ضاحي خلفانها!) بشتم الإخوان وهو يرى بأنه ليس هناك أصلاً شيء اسمه (قضية فلسطينية)! في تعليقه اول يوم من الهجوم الصهيوني على غزة واغتيال قائد القسام احمد الجعبري.

وقطر تلعب على كل الحبال المتوفرة، وهي تصادم بعض السياسات السعودية الخارجية.

وسلطنة عُمان تفضل العزلة في سياساتها كما عودت الجميع، وتنأى بنفسها عن التدخل في أي شيء وفي أي مكان وبشأن اي قضية!

تبقى السعودية المتوجسة من تحركات الداخل، وضعف المركز، وتراجع شرعية العائلة المالكة، وجمود أوصال الحكم، وتزايد سخط الشارع. لكنها هي نفسها السعودية الفاشلة غير القادرة على الحركة، التي تريد تخريب اللعبة أكثر من أن تكون سيدتها.

لقد ولّى الزمن والحقبة السعودية، فيا مرحبا!

ستعيش السعودية بياتاً طويلاً مع هذه الوجوه الهرمة الحاكمة، غير القادرة على المرونة أو الإستجابة لمعطيات وتحديات المرحلة الداخلية والخارجية.

انها دلالات تآكل النظام وانحلال اركانه بشكل متسارع.

وإنها دلالة على أن آل سعود قد تجاوزهم الزمن، وتجاوزهم الشارع العربي.

لا أحد ينتظر نصرة او عونا من آل سعود، بقدر ما يتمنى أن لا يأتيه الشرّ من ذلك البلد المسكون بالعنف والتكفير والتآمر مع الأجنبي على كل ما هو عربي وإسلامي.

نحن نعيش مرحلة ما بعد الحقبة السعودية.

الحقبة السعودية ماتت منذ عقدين، ولكن: (ما دلّهم على موته إلاّ دابة الأرض تأكل منسأته).





محمد بن نايف، خالد بن سلطان، متعب بن عبدالله: الثلاثي الذي قد يقرر مصير حكم آل سعود!

إقالة وزير الداخلية أحمد بن عبدالعزيز

الجيل الثالث صاعداً

محمد السباعي

لعل الفترة الوجيزة الماضية شهدت أكبر عملية تصفية لدور الجيل الثاني من الأمراء. بعض التصفية جاء بسبب الموت، كما هو الحال مع سلطان ونايف وهذلول وغيرهم. وبعضهم تمّ إبعاده قسراً كنائب وزير الدفاع. وبعضهم بتوريث كما هو حال متعب الذي أعطى وزارته (البلديات) لابنه منصور. وبعض ثالث بثمن مالي كما هو حال مشعل، ورابع خرج من المولد بلا حمّص لا له ولا لأبنائه كالأمير طلال. وتأكد أن الأمير تركي بن عبدالعزيز، نائب وزير الدفاع الأسبق لا حصّة له وتمّ تأكيد تجاوز دوره، شأنه في ذلك شأن بندر وبدر ومساعد وغيرهم!

لا أفق ولا مستقبل سياسي لأيّ من امراء الجيل الثالث، عدا لاثنين موجودين في هرم السلطة: الملك عبدالله، وولي عهده سلمان. وكان يفترض أن يكون أحمد ـ بعد تعيينه وزيراً للداخلية ـ آخر الجيل الثاني الذي تنتقل بعده السلطة كاملة الى الجيل الثالث، جيل حفدة مؤسس الدولة. لكن هذا لم يطل، ولعلّ إزاحته عن وزارة الداخلية بعد بضعة اشهر من توليته إياها قضت على أية احتمال ان يكون ولياً للعهد وبالتالي ملكاً قادماً.

كان مفاجئاً إقالة الأمير أحمد من وزارة الداخلية بأمر ملكي، وخروجه من مكتب الوزارة الى منزله وحبس نفسه فيه احتجاجاً!

مثل هذا الفعل يمثّل إهانة له، لم يكن يتوقعها هو، مع أنه اعتاد أن يكون في الظل بلا عمل حقيقي في وزارة الداخلية لأكثر من ثلاثة عقود.

كان أحمد بن عبدالعزيز نائباً لوزير الداخلية منذ السبعينيات الميلادية، وبقي الى وفاة شقيقة نايف في منصبه الذي تحوّل الى مجرد منصب شرفي لا قيمة حقيقة له.

فحضور نايف القوي في الوزارة همّشه بشكل شبه كلّي. ثم لمّا عيّن نايف ابنه محمد مساعداً له، وأخذ الأخير بالتدريج مقام والده الوزير، بقي أحمد بلا فعل ولا دور. بمعنى لم يتغيّر عليه شيء كثير: من تهميش الى تهميش مضاعف!

أتيحت لأحمد فرصة لا تعوّض ليعود الى الأضواء وفي منصب فعلي حقيقي، فأصبح وزيراً للداخلية، وكان من البديهي ان يصطدم مع ابن اخيه محمد بن نايف، الرجل القوي في الوزارة، والذي أصبح الرجل الثاني فيها بحضور عمّه أحمد.

لكن أحمد لا تجربة لديه حقيقية في إدارة الوزارة، وما كان محمد بن نايف ليسلّم لعمّه بسهولة ويقبل العمل في الظلّ. كما أن أبناء أحمد تصوروا أن وزارة الداخلية ـ كما في الوزارات التي يسيطر عليها الأمراء ـ أصبحت ضمن الملك الحصري للوارث الجديد

ولأبنـائـه، مثلما هـو حـال الأمـير سلمان وأبنائه في وزارة الدفاع، والذين ينافسون ويريدون أن يهمّشوا أبناء سلطان في الوزارة، حيث الخلاف لازال مستعراً، ولا بدّ أن يحسم بصورة أو بـأخرى، والأرجـح انـه سيحسم لصالح أبناء سلطان!

مـع تمـنّـع محمد بـن نـايـف، وحـدوث خلافات مع عمّه وأبناء عمّه الوزير، ونظراً لسوء إدارة أحمد ـ الطارئ الجديد فعلاً لا إسماً على وزارة الداخلية ـ كان لا بدّ من حسم الخلاف في وزارة يشعر الأمـراء أنها أشدّ حساسية من أية وزارة أخرى، خاصة في هذا الظرف العصيب الذي تواجه فيه العائلة المـالـكـة تحـديـات خـارجـيـة وداخـلـيـة غير مسبوقة من جهة تصاعد السخط والمعارضة الشعبية.

الملك عبدالله كما هو معروف يميل الى محمد بن نايف، وإن كان في الأساس لا يشعر بـالإرتيـاح ـ بل ربما كان يكره نـايف الأب؛ كما ان الملك يدرك بأن وزارة الداخلية هي الخط الدفاعي الأول عن حكم العائلة المالكة؛ وقد كان راضياً عن أدائها تحت إدارة محمد بن نايف، بحضور أب هذا الأخير. وحين تعرّض محمد بـن نـايف الى محـاولـة اغتيال قبل نحو اربع سنوات في تفجير انتحاري، دُهش المواطنون من مسارعة الملك الى زيارته في المستشفى والإطمئنان على صحته.

في ظـرف معقّد كـهـذا كـان لا بـدّ من التضحية بـالأمـير أحـمـد، فـلا هـو الرجل المناسب للداخلية من جهة الكفاءة والأداء وحتى السنّ، ولا هـو يتمتع بـالحكمة في معالجة القضايا الأمنية والسياسية. ويدلنا على ذلك تصريحاته خلال توليه الـوزارة لبضعة أشهر، فكل تصريحاته إمـا خلقت إربـاكـاً داخـل الـوزارة، أو مـع دول أخـرى، ما جعل اركـان الداخلية ينفرون منه. زد على ذلك فـإن واشنطن تشعر بارتياح في تعاملها مع محمد بن نايف، ومن تعاونه معها في مسائل عديدة يأتي في مقدمتها: مكافحة الإرهـاب، وإفساح المجال للأجهزة الأمنية الأميركية بـدور اكبر للعمل على الأراضــي السعودية، وفي موضوع تجهيز وزارة الداخلية بالمعدات اللازمة في صفقات بالمليارات من الدولارات.

ثـلاث قضايا تـبرز في موضوع اقالة أحمد وزير الداخلية:

الأولى ـ لا تغيّر إقالة أحمد في المدى الاستراتيجي من حقيقة أن مـن سيحكم المملكة ـ اذا استمرت العائلة في الحكم ولم تواجه نكبة وانكساراً مفاجئاً ـ هم من يمسك بالقوى الأمنية والعسكرية. ثلاث شخصيات تمسك بـثـلاث قـوى (الـداخـلـيـة، والـدفـاع، والحرس الوطني) هي التي ستقرر مصير الحكم لأجيال قادمة، وهي التي ستقلص دائرة الحكم في عقب ثلاثة من أبناء الملك عبدالعزيز مؤسس الدولة. واضح ان عبدالله ضمن سلطة (مـا) لعقبه، مـن خـلال ابنه متعب ـ أحد الثلاثة ـ الذي يسيطر على الحرس الوطني. ووجود متعب في هذا المنصب يحفظ لإخوانه مواقعهم في السلطة: مشعل كأمير نجران، وعبدالعزيز كوكيل لوزارة الخارجية وغيرهما. أيضاً: حُسم أمر وزارة الداخلية لصالح عقب الأمير نايف بتعيين ابنه محمد بن نـايف وزيـراً. ولكن بقيت وزارة الدفاع لم يُحسم أمرها بعد، ولازال الصراع عليها قائماً.

الثانية ـ الثلاثي الـذي يمسك بقوى العسكر والأمـن هو من سيعيّن ملك البلاد القادم ـ بعد غياب عبدالله وسلمان ـ إما من بين الثلاثي وفق تراتبية معيّنة، أو بـالإتفاق على شخصية ملكية اخرى. بيد أن انحصار الحكم في هـذا الـثـلاثـي، سيسبب مشاكل جمّة للعائلة المالكة، فـإذا كان أبناء ابن سعود وهم بالعشرات تصارعوا وتقاتلوا على الحكم، فكيف سيكون الحال بين ابناء الجيل الثالث من الحفدة الذين هم بالمئات في أدنـى تقدير؟! لن يكون سهلاً على هذا الثلاثي اذا مـا استكمل اركانه، واتفق رموزه على تسيير شؤون الدولة، ان يتجاهل بقية أبناء عمومتهم، او حتى أعمامهم الأحياء، وبـالتالي لا بدّ من تخفيف الأزمـة الداخلية بـإعـادة توزيع المناصب منعاً للإنفجار. ولكن المشكلة ستبقى حادّة جداً بين أبناء العمومة، إذ لن يقبلوا انحصار الملك والثروة والسلطة في عقب ثلاثة أبناء، والمناصب على كثرتها لا يمكن أن تكون كافية لآلاف من الأمراء وحتى الأميرات. لذا فإن الصراع سيتصاعد بشدّة داخل العائلة المالكة مع انتقال الحكم الى الجيل الثالث.

الثالثة: متى ستنتقل السلطة كاملة الى الجيل الثالث؟ هذا السؤال مهم جداً، لأن كل القضية معلّقة الآن بيد شخصين من الجيل القديم: الملك وولي عهده؛ وكلاهما مريضان، وفي أرذل العمر، وقد لا تتاح لهما الفرصة كثيراً لترتيب شأن الخلافة بعدهما، خاصة وأن المـلـك عـبـدالله هـو الـذي اقـترح هيئة البيعة، وهو الذي قضى عليها قبل ان تبدأ عملها. ولا يبدو ان هيئة البيعة ستكون مرجعية ذات فـائـدة في الأسـاس، بتغلّب الثلاثي الأمني العسكري على الحكم. يبقى هل يقوم الملك العجوز المقعد غير القادر على أداء المسؤولية، والذي أُدخل المستشفى قبل أيام، وكذلك وولي عهده المصاب بـالزهـايمر، بـالتقاعد مبكراً ليحلّ محلّهما ملك جديد وولي عهد جديد من أبناء الجيل الثالث؟ أم يبقيا الأمر لعوادي الزمن، بعد موتهما؟

ان الـتـغـيير تحـت نـظـر المـلـك أفضـل وأضمن للمستقبل، ولكن لا يبدو أن مثل هذه المقترحات التي تتضمن التنازل عن المُلك واردة في خيال الملك وولي عهده، فضلاً عن ان تكون مقبولة لدى حاشية كليهما.

يحتاج الثلاثي (رئيس الحرس، ووزير الداخلية، ووزير الدفاع) ان يستكمل اركانه ابتداءً بمعرفة من هو وزير الدفاع القادم، من أبناء الجيل الثالث.

ويحتاج هذا الثلاثي انسجاماً بين رموزه واتفاقاً على تسيير أمـور الدولة بـالتوافق بينهم.

ويحتاج هذا الثلاثي الى الوقت الكافي ليغرس جذوره، كل في وزاراته ويتخلص من المنافسين.

كما يحتاج الثلاثي الى مظلّة حماية ريثما يصل الى مواقع المسؤولية العليا في تقرير مصير العائلة المالكة وحكمها. هذه الحماية قد يوفرها الملك وولي عهده سلمان (الذي لا يظهر انه يقبل بذلك ما لم يكن لعقبه شيء من كعكة السلطة)؛ وفي حال موتهما، يحتاج الثلاثي الى مظلّة حمائية أخرى من بقايا أبناء عبدالعزيز/ الأعمام، يرجح أن توفيرها سيكون صعباً وبمساومات وبأثمان باهظة: إقطاعات اراضي ومليارات من الدولارات كرشوات!

شائعات عن فشل العملية الجراحية

عاش الملك.. مات الملك

عبدالحميد قدس

الملك عبدالله يدخل المستشفى المحلّي هذه المرّة، ولم يغادر البلاد الى مستشفى أمريكي يتطبّب فيه كما فعل في العام العام الماضي من رحلة علاجية الى امريكا من مرض حاول الملك أن يجعله نكتة فعدّد مسميات المرض: ديسك، عرق النسا! واضاف: لكن النساء ما شفنا منهن إلا كل خير!

لا يعاني الملك عبدالله من أزمة في فقرات الظهر فحسب، بل لديه مشكلة في القلب، كما هو معروف، أيضاً.

وحين ادخل الملك مرة اخرى للمستشفى لعلاج رباطات الفقرات هذا الشهر، كان من المتوقع أن يظهر علينا الديوان الملكي بخبر (نجاح العملية). إذ لم يحدث في تاريخ السعودية، أن أقرّ الديوان الملكي بفشل عملية جراحية لأيّ من الأمراء!

الأصل يقال دائماً: العملية ناجحة!

ثم يأتي الخبر الذي يليه، أن هناك مضاعفات في العملية، أو أنه حدثت انتكاسة غير متوقعة، وما أشبه، الى أن يوسد المريض الثرى!

الإعتراف بفشل العملية خطير الإفشاء به. حدث هذا مع نايف، ومع سلطان، ومع امير مكة عبدالمجيد، ومع آخرين من الأمراء هم ادنى مرتبة، سعود الفيصل مثلاً، أو بندر بن سلطان، وهكذا!

الإشاعات الآن تتصاعد بشأن وفاة الملك عبدالله، ومن البديهي انها ما كانت لتزيد لولا دخول الملك المستشفى اولاً، ولأنه بلغ من العمر ما يقرب من التسعين عاماً، وأضحى غير قادر على مزاولة مهامه في الحكم.

ومع ان الأعمار بيد الله، فإن المرجح أن لا يطول عمره، وهو بهذا العمر وفي هذه الحال. وحتى لو أطال الله عمره، وسلم من الزهايمر، فإنه بالقطع لن يكون الحاكم إلا بالإسم.

السؤال: هل هناك تحديات حقيقية ستواجه آل سعود ومملكتهم في حال توفي الملك قريباً؟ هل ستؤدي الوفاة الى مضاعفات سلبية، ام تفتح الباب امام حقبة أفضل؟

ما يبدو جليّاً اليوم، أن الملك وبفعل عزل ووفاة الرؤوس الكبيرة في العائلة المالكة والتي يمثلها اخوته ابناء عبدالعزيز.. نقل معركة الخلافة الى الجيل الثالث (جيل الحفدة) بامتياز. بهذا المعنى يمكن القول أن معركة المنافسة بين الكبار قد هدأت في ظاهرها، وان على مضض، في حين لم تظهر مؤشرات فاقعة على الخلاف بين أبناء الجيل الثالث ممن تولوا السلطة فعلياً. وربما يعود السبب هنا، الى أمرين أساسيين: الأول، أن إعادة التحصيص للسلطة بين الأمراء الأقوياء قد تمّ في السنتين الماضيتين بشكل جعل لكل أمير أو مجموع عقب أمير.. (مزرعته) و(إقطاعياته) بحيث أشغل كلّ منهم بما في يده، فيما تمّ تأجيل البتّ ـ وهو الأهم ـ فيمن يكون رئيس المزرعة الأكبر (الملك وولي العهد) القادمين. السبب الآخر، ان هناك استحقاقات أخرى منتظرة لأمراء ينتظرون أوامر ملكية بمنحهم بعض السلطات، أي أن تحصيص السلطة لم يتم بالكامل، وهناك بعض التغييرات المنتظرة تدفع أمراء كثيرين الى الصمت وانتظار توزيع بقية التركة/ الارث، قبل أن يقرروا المشاغبة والإعتراض. وإذا لم يستطع الملك ان ينهي الحصحصة هذه قبل موته، فإن من المتوقع أن تتحوّل الى قنابل متفجرة بوجه خليفته.

هل وفاة الملك اليوم لصالح الإستقرار والإصلاح في السعودية؟

ربما لا تغير وفاة الملك عبدالله شيئاً. فقد كانت هناك خشية أن تتحول السعودية الى (مملكة سديرية) كما تحدثنا عنها مراراً في مجلتنا (الحجاز). إرادة الله قضت أن يفشل هذا الأمر بوفاة نايف (ولي العهد السابق) وقبله شقيقه (سلطان ولي العهد الأسبق ووزير الدفاع) بحيث لم يتبق من الجناح السديري من أبناء ابن سعود إلا الضعفاء والمرضى. فعبدالرحمن تمت إزاحته من نيابة وزارة الدفاع، وتركي بن عبدالعزيز العائد من



ملك العجزة!

مصر بعد وفاة زوجته هند الفاسي، ونائب وزير الدفاع الأسبق، اقتنع بالإنزواء، وأقصى أمله له ان يحصل أحد أبنائه على منصب ما. ويبقى من الجناح السديري القوي: أحمد، وزير الداخلية الذي أُقيل مؤخراً، ويحتمل ان يكون ذلك نهاية لمستقبله السياسي، وسلمان المصاب بجلطات الدماغ، والزهايمر.

لن تكون هناك مملكة سديرية حتى من قبل الجيل الثالث، فالثلاثي الحاكم على الداخلية والدفاع والحرس الوطني، سيشكل

عصبيته الخاصة بـه، ولـن تكون معتمدة على أجنحة بقدر ما سيعتمد كل فرد من الثلاثي على إخوته وأشقائه، فهذا وقت تفتّت العصبيّات بأكثر مما يظن البعض.

هناك من يتمنّى حدوث سيناريو مختلف: أن يطيل الله عمر الملك، ويموت سلمان ولي العهد قبله، فيقوم الأول بتعيين ولي عهد جديد من الجيل الثالث، بحيث تنتقل السلطة الى ذلك الجيل بحضور شخصية كبيرة مثل الملك. بيد أن آخرين يتمنون ذات الأمر، ولكن لغرض آخر، وهو أن تموت (الدولة) بموت (الملك)، بحيث أن طول عمر الملك يؤدي الى تسارع انحلال الدولة نفسها وبقائها على جمودها وفساد سياساتها.

السيناريو الاخر، ان يموت الملك قبل ولي عهده سلمان. هنا تختلف الأمـور: فسلمان لن يقبل بأن يرحل عن الدنيا قبل أن يضع بصمته ويضمن مصالح عقبه من أبنـاء. إن مات الملك قبل تعيين خالد بن سلطان وزيراً للدفاع، فإن وزير الدفاع سيكون أحد أبناء سلمان. وفي كل الأحوال، سيحاول سلمان في حال وصوله الى كرسي المُلك أن يستحوذ على إحدى الوزارتين: الدفاع أو الداخلية، ومن الصعب إقناعه بأقل من ذلك. وعموماً فـإن الثلاثي الـذي يتمنى سلمان له حكم المملكة قد يتشكل من: امير من ابناء سلمان للدفاع؛ محمد بن نايف للداخلية، متعب بن عبدالله للحرس الوطني.

لكن السؤال: من سيعيّن ولياً لعهد سلمان حينها؟ هل يُعاد أحمد المطرود حديثاً من الداخلية الى ولاية العهد، كما كان متوقعاً يوم تعيينه وزيراً للداخلية؟ أم تفعّل هيئة البيعة، فتختار ولي عهد جديد من الجيل الثالث؟ هذا الأمر الأخير هو المرجح: تعيين ولي عهد من الجيل الثالث، لأن تعيينه من الجيل الثـاني، من أبـنـاء ابـن سعود، يعني أن وصوله الى كرسي الملك سيدفعه بشكل تلقائي الى إزاحة واحد من الثلاثي المسيطر على أجهزة العنف والأمن في الدولة. قد يطرد وزير الدفاع الذي عيّنه سلمان، أو محمد بن نايف.

بناء على ذلك كلّه، فإنه في كل الأحوال، لا يرجح تعيين ملك بعد رحيل سلمان وعبدالله، من أبناء عبدالعزيز، مهما كانت الأحوال.

يبقى السؤال الأهم: وأيـن الشعب؟ أين الإصلاحات؟ أيـن مراكز القوى السياسية والدينية من المعادلة؟

يبدو أن موضوع الإصلاح ليس مطروحاً البتة لدى الأمـراء. ليس هناك اجماع على الإصلاح، ولا حتى ربع إجماع! الإصلاحات السياسية ليست على الطاولة بـالمرّة. لا يوجد على الطاولة إلا هـراوة وسـوط! زد على هذا فإن من الصعب أن يتم الإلتفات الى موضوع الإصلاحات قبل حسم مسار الدولة وتحولها من جيل الى جيل. والى أن يُحسم الأمر، وهذا قد يتطلب سنوات، والى أن يرتب الأمراء أوضاعهم، فإن ما ستشهده البلاد هو القمع مجرداً. وإذا ما ترتب وضع الأمـراء وخط الخلافة في الحكم، وتغلب الأمراء على المشاكل البينية بينهم، ومُنحوا الفرصة لتحقيق ذلك، فسيكونون في وضع أقوى لرفض الإصلاحات! فإذا كان الأمراء لا ينوون الإصلاح السياسي في هذا الظرف العصيب الذي يمرون به، فكيف بهم في حال وقفوا على أرض صلبة؟!

الجيل الثالث من الأمـراء ليس جيلاً إصلاحياً حتى يمكن التعويل عليه. لا أظن أن أحداً ممن عرف محمد بن نايف، والذي أمضى عمره في وزارة الداخلية يمارس القمع، يعتقد بأنه ـ كما اباه ـ يمكن أن يتحمل سماع كلمة (إصلاح). ومتعب بن عبدالله رئيس الحرس الوطني، والذي أمضى عمره عسكرياً، يمكن ان يتحول الى حمل. ومثل ذلك خالد بن سلطان، إن اصبح في وزارة الدفاع.

الجيل الثالث، وإن تعلّم بعض أفراده في الغرب، فإن ما تعلموه هناك لا شأن له بالإصلاحات، ولا أدى التعليم الى (ذهنية منفتحة)، ولا ولّد رغبة (في الديمقراطية وحقوق الإنسان). ما تعلّموه في الغرب هو استخدام الأدوات في السيطرة المباشرة على الناس. ولذا فمن النادر ان تسمع أميراً من الجيل الثالث يتحدث عن الإصلاحات السياسية أو حتى يؤمن بها. لم نرَ ذلك من بندر بن سلطان، ولا تركي الفيصل، ولا بقيّة شلّة الجيل الثالث.

في الحقيقة فـإن الجيل الثالث أكثر شراسة وقمعاً، وأقـلّ حكمة في معالجة الأمور بغير منطق القوة. أمامنا جيل تربّى على الإستعلاء كما آبـاؤه، ومارس القمع طيلة حياته، واختنق في شرنقة الفساد والمـؤامـرات، وعـرف عقلية الـغـرب وما يرضيها، وكيف يرشيها ويفسدها.

لا.. ليس هـذا الجيل الثالث هـو جيل الإصلاح، ولا جيل ما يسمى بـ (الحكمة)! هو جيل في مجمله في الستينيات والسبعينيات من العمر! أي أنه ليس جيلاً شاباً كما يتحدث الغرب واعلامه (الغبي) وكأن الذي سيحكم هم أبناء الثلاثين من العمر!. كلاّ: هذا جيل فاسد وقمعي ومفسد في نفس الوقت. جيل لا يؤمن بحرية ولا احترام آدمية الإنسان. بحيث لا يمكن الإعتقاد بـأن وفـاة العجزة المخرفين مثل الملك وولي عهده، ستؤدي الى انفتاح سياسي واجتماعي في البلاد.

ستنتقل مشاكل المملكة وحكمها في كل المواضيع الى الجيل الثالث عمّا قريب، ولا يتوقع ان يعالجها، بل يرحّلها الى المستقبل كما فعل آبـاؤه. فالزمن حـلال المشاكل، وذاكرة الشعوب ـ بالنسبة لهم ـ قصيرة ولا تتذكر ما جرى بالأمس. هذا رأيهم.

رأيـنـا نحن هـو: أن مـوت الملك عبدالله لن يغيّر الأحوال الى الأحسن، بل قد يدفعها الى الأسـوأ. وإن كـان هناك من حسنة في هذا التحوّل فهي أن الأجيال الشابة الجديدة المُسعودة لم تحترم أبناء هذا الجيل، ولا تنظر اليهم بقدسية، بل للجمهور موقفه منهم كما هو معلوم، وقـد مارس نقدهم بقسوة في السنوات الأخيرة، بالتزامن مع فورة وسائل التواصل الإجتماعي.

لا نظن ان الجيل الثالث سيحلّ مشاكل البلاد، ولن يكون بإمكانه تحسين سمعتها، كون أقطابه مصدر الفساد ورؤوسه؛ كما ان نزعته العنفية والأمنية صارت ممجوجة، والأهـم انها صارت غير مخيفة ولا ترهب الناس كـثـيراً. وحتى في معالجة مشاكل الأسرة وخلافات أفرادها البينية، فإن الجيل الثالث سيصحو وهو في الحكم على انفجار في المواجهة مع (أبناء العمومة) الباحثين عن (حقّهم!) في السلطة والثروة.

الوضع السياسي الداخلي ـ مهما حاولنا استيضاحه ـ يبقى غامضاً حتى على اللاعبين أنفسهم.

السلفية في الكويت:

مشروع قطري ـ سعودي ـ ولكن ضد من؟

عمر المالكي

لم يكن مقدّراً للكويت أن تكون مدرجة على قائمة دول الربيع العربي، على الأقل من وجهة نظر المراقبين الأجانب، فالتجربة الديمقراطية الكويتية منحت دولتها حصانة وإن مؤقتة إزاء أي تغييرات دراماتيكية.يضاف الى ذلك، أن التجاذبات المفتوحة والطويلة المدى بين الحكومة والبرلمان أبقاها داخل إطارها الدستوري، وكانت المعادلة تقوم على أن يتقدم أعضاء في البرلمان بطلب استجواب لوزير أو أكثر ثم يحتدم الخلاف بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ويؤول الى قرار حل المجلس، وتالياً الدعوة الى انتخابات جديدة يعقبها تشكيل حكومة جديدة، لتبدأ جولة خلافات جديدة على النسق نفسه..

المتغيّر الجديد في المعادلة السياسية الكويتية المحلية كان خارجياً بذيول داخلية. فقد أوجد الربيع العربي معادلات جديدة، وأنجب مخاوف متعدّدة، ويمكن القول بأن لكل دولة خليجية هواجسها الخاصة إزاء ما جرى ويجري في العالم العربي.. ولكن هناك من يحاول توظيف وقائع الربيع العربي في معارك خاصة أو مخططات مبيّتة أو مستحدثة..

كان التجاذب السياسي بين الحكومة والتيار السلفي في الكويت محصوراً داخل اللعبة الديمقراطية التي ارتضتها كل القوى السياسية، بل وتحت سقف العائلة الحاكمة في الكويت. ولكن ما جرى مؤخراً تجاوز قوانين اللعبة، وفرض معادلة جديدة، وأن (الذات الأميرية) التي كانت لا تمسّ باتت حاضرة بكثافة غير مسبوقة في حركة الاحتجاجات الشعبية التي شهدتها الكويت مؤخراً، بل أمكن القول بأن الذات الأميرية هي وحدها الحاضرة في الاحتجاجات، على خلفية صدور القانون الانتخابي الجديد الذي أصدره الملك واعتبره موجّهاً تحديداً ضد التيار السلفي..

كان يمكن أن تقف عملية التجاذب عند هذا الحد، ولكن لحظنا فجأة دخول أطراف خارجية وشخصيات دينية سلفية غذّت حركة الاحتجاجات وصارت جزءاً من عملية التحريض الواسعة ضد الحكومة الكويتية..

في السياسة، هناك من وجّه أصابع الاتهام الى كل من النظامين القطري والسعودي في التخطيط لاسقاط الحكومة الكويتية. وقيل بأن رئيس الاستخبارات السعودية الأمير بندر بن سلطان، الذي يكنّ عداءً خاصاً وقديماً للحكومة الكويتية بسبب موقف سابق لبعض شيوخها منه وقيل بأن أحدهم خاطبه بلغة عنصرية فأضمرها له، قام بزيارة الى قطر والتقى بأميرها واتفقا على تأييد الحراك السلفي في الكويت لإسقاط الحكومة الكويتية، وقد نفت الأخيرة أي دور لقطر في الاحتجاجات التي شهدتها الكويت..

ولكن بدا واضحاً أن الضلوع الخليجي في حركة الاعتراضات الكويتية كان واضحاً..

مواقف جدلية من حراك أكثر جدلية

مسيرة كرامة وطن كما أطلق عليها والتي انطلقت في ٢١ أكتوبر الماضي لم تكن عفوية، فنوعية المشاركين والاهداف التي انطلقت من أجدلها كانت ذات دلالة خاصة.

الهدف المباشرة هو رفض التعديل على قانون الانتخابات الذي يضرّ أول ما يضر بالتيار السلفي، بعد اعتقاد الأخير بأنه بات مستحكماً بمفاصل مجلس الامة الذي بات وفق المعادلة الجديدة سلفياً بامتياز.

ولكن الاهداف البعيدة هي أكبر من ذلك حيث ان التطاول وصل الى رأس العائلة الحاكمة في الكويت، ما أثار أسئلة حول السبب الذي يدفع بشخصيات خارجية للذهاب الى رأس الهرم السياسي في دولة مصنّفة على أنها شقيقة، فيما تجبن تلك الشخصيات عن مجرد الاقتراب ولو من بعيد من مبادىء السياسة الشرعية في بلاده.

د. محمد العريفي 3h
لذلك:
فالحراك الكويتي الحُرّ الذي اجتمع علماء الكويت على تأييده..
واجتمع الرافضة على إنكاره!
هو حراك سلمي جائز،
وأسلوب شرعي للمطالبة بالحق

نبيل علي العوضي 2h
الخلاف في الكويت ليس طائفياً!!
ففي المعارضة سنة وشيعة
وفي الطرف الآخر سنة وشيعة
اللهم اجمع قلوبنا على الحق والهدى
واصرف عنا الفتن والشرور

قيل بأن السعودية تريد فرض ارادتها في الكويت عبر التيار السلفي، وهو احتمال وارد جداً، لأن مسيرة الكرامة كما أطلق عليها هي مواجهة بين الحكومة الكويتية والتيار السلفي حصرياً، والاسماء التي تصدّرت المسيرة هي من التيار نفسه، وإن دخول شخصيات أخرى لا يلغي حقيقة أن كثيراً ممن شاركوا في التظاهرات ورصدتهم أجهزة الامن الكويتية كانوا يستقلون سيارات بلوحات سعودية، وأن من صعّد الخطاب الى حد الارتطام برأس الدولة.

مشايخ الصحوة في المملكة عبّروا على نحو عاجل عن مواقف مثيرة للجدل من الاحتجاجات الشعبية في الكويت. الشيخ ناصر العمر، الذي اعتاد الكشف عن مؤامرات افتراضية في مرحلة مبكرة، أطلق تغريدات مستعجلة ومتضاربة. في أول تعليق له على التظاهرات في الكويت، قال العمر في تغريدة له في ٢٣ أكتوبر (ذهل العالم مما يجري من أحداث مؤلمة في الكويت، مضرب المثل في الاستقرار، وزال هذا الاستغراب بعد تصريح المرجع الشيعي بالكويت، فانكشف من يقف وراءها)، ثم بعد ثلاث ساعات غيّر العمر رأيه فأصبحت القضية مناقضة تماماً كما تكشف التغريدة التالية: (تجاوبت حكومة الكويت مع مطالب الرافضة،والتأييد المطلق للمرجع الشيعي بالكويت للحكومة في قمعها لشعبها يؤكد هذه الحقيقة. فأين عقلاء آل الصباح؟). وراح العمر يجترح سياقاً جديداً ينطوي على دعم التظاهرات ونقد حكومة الكويت (بعد غزو الكويت عاهد حكامها الله على تطبيق شرعه إن تحررت، فعادت الكويت بفضل الله وحده، ولكن لم يف حكامها بالعهد. فأذكّرهم بعقوبة من لم يف بعهد الله).

اللحيدان ونكاية بالملك أراد تسجيل موقف وارادت الحكومة الكويتية الاستفادة من خلافه مع الملك، سجّل موقفاً لافتاً مؤيداً للسلفية التقليدية ولموقف رجال الدين السلفيين في الكويت. حيث

انتقد اللحيدان في تصريح له نشر في صحيفة (الوطن) الكويتية في ١١ نوفمبر تخصيص الحكومة الكويتية ساحة لما يسمى بالحريات. وقال (أقول في دروسي دائماً بعدم جواز المظاهرات.. والانتقاد يتم بين المنتقد وولي الأمر بالبينة)، وعلى عادته انتقد (تجمعات الغوغاء) لأنها (تعطل مصالح الناس وتثير فتناً (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة). وطالب اللحيدان بالتعامل مع التظاهرات (إذا لم تُجْد الحكمة فيجب التعامل مع التجمعات بحزم كونها تثير الفتن)، وقال بأن (مناصحة ولي الأمر تتم دون تجمعات.. وقيل قديما (الجمهور لا عقل له).

اللافت في موقف اللحيدان أنه كان ملكياً أكثر من الملك نفسه حين قال في سياق عدم جواز التجمعات بأنه (لا يجوز لولي الأمر ان يسمح لـ (الغوغاء) بمثل هذه التجمعات لما تؤدي اليه من فتن وتعطل مصالح الناس، واصفاً التجمعات بالضلال المبين والمشبوهة ومن بواعث الباطل التي لا يصح الاذن بحصولها..).

وقال اللحيدان بأنه (لينتقد الحكومة الكويتية لتخصيصها ساحة لما يسمى بالحريات.. فهذه حريات خطيرة على المجتمع). ودعا الحكومة الكويتية (لعدم التوسع في استيطان من يخالفونها في العقيدة..)، في إشارة كما هو واضح الى الشيعة، دون أن يتطرق الى المواطنين السعوديين الذين يحملون جنسية مزدوجة، ويشاركون في الانتخابات البرلمانية الكويتية، وتستخدمهم الحكومة السعودية لدعم تيارات سياسية ودينية مناصرة لها.

العريفي..عنوان التدخل

كتب الداعية المثيرة للجدل محمد العريفي:

(أقول لمن ينكر ع الكويتيين الأحرار: من خرجه بسلاحه على إمام شرعي فيجب حواره قبل قتاله.. فكيف بمن يطلب سلمياً ضد إمام غير جامع لشرائط الولاية). وكتب أيضاً (فالحراك الكويتي الحر الذي اجتمع علماء الكويت على تأييده..واجتمع الرافضة على إنكاره! هو حراك سلمي جائز، وأسلوب شرعي للمطالبة بالحق)..

لقد أثارت تغريدات العريفي ردود فعل غاضبة وسط قطاع من الكويتيين، ونقل موقع أخباري كويتي بأن الكويتيين صدموا في ٢٣ أكتوبر ٢٠١٢ من التغريدات التي أطلقها الواعظ السعودي محمد العريفي عبر حسابه في شبكة التواصل الاجتماعي (تويتر) والتي شكك من خلالها في شرعية أمير الكويت الشيخ صباح الاحمد دون الاشارة لإسمه واصفاً إياه بأنه (إمام غير جامع لشروط الولاية). فقد رد عليه الشيخ السلفي نبيل علي العوضي (الخلاف في الكويت ليس طائفياً!! ففي المعارضة سنة وشيعة، وفي الطرف الآخر سنة وشيعة، اللهم اجمع قلوبنا على الحق والهدى واصرف عنا الفتن والشرور).

يشار الى أن المعارضة الكويتية بكافة أطيافها لم تشكك في شرعية أمير الكويت، كما فعل العريفي، ما تسبب في صدمة حتى داخل التيار السلفي الكويتي، وأثار الكثير من علامات الاستفهام حول موقف العريفي. مشاري العفاسي، المنشد والقارىء، استنكر ما قاله العريفي وقال (وأتمنى أن يكون دور الداعية عموماً إصلاح ذات البين لا الإفساد والتي سماها النبي صلى الله عليه وسلم الحالقة).

مجموعة مواقف صدرت من سلفيين كويتيين كرد فعل على موقف العريفي. عبد العزيز العويد طالب العريفي بالإعتذار احتراماً للكويت وأميرها وشعبها. وبندر المحياتي، قال (عندما أوشكت الفتنة على الانتهاء، تدخل مفتياً بعدم شرعية القائد!!..ثم يقولون لسنة دعاة فتنة!!. سعد علوش قال (العريفي يقول أن أمير الكويت غير جامع لشروط الولاية العامة أتحداه إذا كان رجل حق أن يروح لأصغر محافظ في أصغر مدينة في السعودية ويقول له هذا الكلام). ويقول محمد الحاجوني (منع سويدان من دخول الامارات فاستغل كل منبر للطعن فيها ومنع العريفي من دخول الكويت فأخذ يثير الناس على أميرها! هل سمعت عن طواغيت الدين؟!). وكتب الشيخ حمد العثمان (لماذا لا يكفر العريفي د. مرسي ويدعو للخروج عليه وهو لا يحكم بالشريعة، قاتل الله الحزبية ما أقبحها).

في ٢٣ أكتوبر الماضي صدرت مواقف عدة من شخصيات سلفية، وقال عضو مجلس الامة الكويتي أحمد بن مطيع العازمي (التعدي والتجاوز من العريفي على أمير الكويت غير مقبول ومرفوض تماماً ونستنكر تدخلاته في شئوننا ويجب أن يعتذر عنه اعتذاراً واضحاً). وشدد العازمي على رفض تدخل أحد (من خارج الكويت سواء كان داعية أو غيره). وأعاد العفاسي التأكيد على أن (من ظن أن الكويتيين تظاهروا لإسقاط النظام فقد أساء الفهم ومن ظن أنهم من حزب معين فقد أساء الفهم، لذلك أتت التصريحات الخارجية غير موفقة). ورد محمد الطبطبائي على كلام العريفي حول شروط الولاية وقال (نستنكر ما أورده أحد الدعاة بأن سمو الأمير غير جامع لشروط الولاية، وهو قول باطل).

وأنشأ مغردون كويتيون عدداً من (الهاشتاقات) على العريفي انتقدوا فيه تصريحاته حول عدم شرعية أمير الكويت بناء على كونه غير جامع لشروط الولاية.

هناك من دول الخليج، والامارات على وجه الخصوص، من وقف مع حكومة الكويت على خلفية صراعها مع ما تعتبره مخططاً لجماعة الاخوان المسلمين لإسقاط حكومات الخليج. وفي ٢٤ أكتوبر الماضي، أعلن عن أن إمارة دبي تتجه الى منع العريفي من المشاركة في برامجها التلفزيونية والفتوى بعد هجومه على امير الكويت في تويتر. فيما قالت صحيفة (الوطن) الكويتية بأن (قرار إيقاف العريفي من الظهور إعلامياً، يأتي ضمن سلسلة ملاحقاتها للناشطين من الإخوان المسلمين، وذلك بعد مطالب مغرّدين كثر بإيقاف برامجه قائلين (أوقفوا العريفي عن تلفزيون دبي).

صحيفة (السياسة) الكويتية المثيرة للجدل، اعتبرت تصريحات العريفي بأنها تدخل (سافر) في الشأن الداخلي الكويتي، وأن ما قام به (تطاول على مسند الإمارة) حتى ينتصر لما وصفه (لحلفائه من الإخوان المسلمين). وإضافت الصحيفة بأن محامين كويتيين ينوون تحريك دعاوى قضائية ضد العريفي، وأن وزارة الداخلية الكويتية وضعت إسمه على قائمة (الممنوعين من دخول الكويت). وهذا القرار يأتي بعد قرار كان قد صدر في العام ٢٠١٠ بمنع دخول العريفي الكويت بعد خطبة ألقاها بجامع البواردي في الرياض وصفت بأنها تحريضية ضد شخصيات دينية في المجتمع الكويتي وتسبب في أزمة بين البرلمان والحكومة حينذاك.

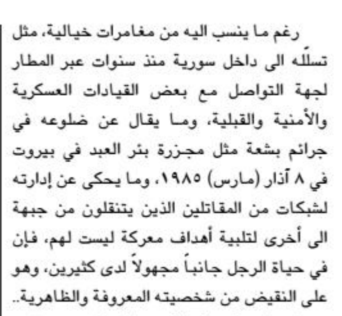
وكانت صحيفة (الوطن) الكويتية قد نشرت تصريحات لرجال دين من التيار السلفي على صفحها الأولى في ٢٤ أكتوبر الماضي، ووجهوا سؤالاً للعريفي: متى أجمع علماء الكويت على إباحة المظاهرات؟! في تذكير بالموقف السلفي التقليدي من المظاهرات.

وقال الداعية محمد الطبطبائي بأن أمير الكويت (مبايع من الشعب وجامع لشروط الولاية وما قاله العريفي باطل)، أما وائل الحساوي فقال (غالبية علماء السلف أنكروا المظاهرات)، وقال خالد الشرف: هذه آراء علمائنا فالعريفي لا يدري أبعاد الأمور).

المعارض الكويتي والنائب في مجلس الامة وليد الطبطبائي كانت له تعليقاته على تغريدات العريفي، فأفرد له تغريدة اطرائية مميزة بقوله (الشيخ محمد العريفي رمز من رموز الدعوة بالعالم الاسلامي وليس بالسعودية، فتحية له لمساندته الكريمة لحراك اهل الكويت الشعبي). ثم لفت انتباهه بطريقة ناعمة جداً (الشيخ الفاضل العريفي نحن نجلك ونشكر موقفك الايجابي مع حراكنا السلمي وهو بسبب بعض قرارات الامير وليس ضد شخصه ومكانته فنرجو منك التصحيح). ومضى بعض المغرّدين في السياق نفسه. وقال أحد المغرّدين (السيد العريفي..حراكنا سلمي دستوري ليس انقلابا على حاكم نصبه البرلمان واختاره الشعب). فيما قال مغرّد ثان بلهجة خليجية (يا حلاتك وأنت ساكت..خلك بأمور الدين ولا تتدخل بسياسة الغير أزين لك يا شيخ). وقال رابع (أقترح على الشيخ العريفي أن ينظم محاضرة بعنوان رب كلمة قالت لصاحبها دعني ويمثل ع الموضوع بتغريداته).

فتح العريفي معركة مع جمهور عريض على الساحة الكويتية ثم ما لبث ان انتقلت المعركة لتصبح خليجية، وفتحت في طريقها ملفات كانت مغفولة أو مهملة، وطالت حتى عدد المتابعين له على موقع تويتر والذي بلغ عددهم حينذاك (٢,٩) مليون متتبع وهو ما يعتبره كثيرون بمن فيهم خبراء في التواصل الاجتماعي بأنه محض خيال. فيما قال مغرّدون إماراتيون بأن العريفي لديه متتبعون (أكثر من المفكرين والعلماء في أوروبا، كما ينافس المشعوذين والمطربين والمطربات في بقاع العالم المختلفة في عدد المتتبعين والمتعقبين لهم). وشكك هؤلاء في صحة الرقم وحقيقته بالاستناد الى ما اكتشفه موقع (ستيتس بيبول) المتخصص في إحصاءات الموقع الاجتماعي (تويتر) وما يتعلق بحسابات المسجلين فيه، عن وجود أعداد كبيرة لمتتبعين أو (فلورز) لمشاهير سعوديين وخليجيين وعرب، هي في الحقيقة حسابات وهمية.

بندر بن سلطان



الأمير المذعور!



محمد الأنصاري

رغم ما ينسب اليه من مغامرات خيالية، مثل تسلّله الى داخل سورية منذ سنوات عبر المطار لجهة التواصل مع بعض القيادات العسكرية والأمنية والقبلية، وما يقال عن ضلوعه في جرائم بشعة مثل مجزرة بئر العبد في بيروت في ٨ آذار (مارس) ١٩٨٥، وما يحكى عن إدارته لشبكات من المقاتلين الذين يتنقلون من جبهة الى أخرى لتلبية أهداف معركة ليست لهم، فإن في حياة الرجل جانباً مجهولاً لدى كثيرين، وهو على النقيض من شخصيته المعروفة والظاهرية..

انغماسه في عالم الاستخبارات لم يمنحه قوة، رغم اطّلاعه على خبايا وشرور وأشرار هذا العالم، بل زاده خوفاً على خوفه التكويني، فهو يمارس اللعبة القذرة، ولكن في الوقت نفسه يخشى من أن يكون ضحية فيها يوما ما..

يقتل، يتآمر، يخدع، يستدرج، وفي نهاية المطاف يجدها لعبة مزدوجة: تسلية ومجازفة، فهو لا يكف عن رسم مخططات ضد الخصوم، وأحياناً ضد الأصدقاء وهذا مايبعث الرعب في داخله، لأنه يستطيع تفادي الوقوع في أيدي أعدائه عبر تدابير أمنية محكمة وصارمة، ولكن خوفه ينبع من الأصدقاء الذين يتواصلون معه.. وقد خفّف في الآونة الأخيرة حتى مجرد التواصل الروتيني معهم، لاعتقاده بأن مقتله سوف يكون على يد صديق، وليس عدواً.

في واقع الأمر، إن فوبيا الأضواء التي يعاني منها الأمير بندر بن سلطان، تعكس شخصيته القلقة والمذعورة، وليس زهداً في الإعلام، فهو يعلم تماماً ما ارتكبه من جرائم قتل ضد الأصدقاء، وهناك في دوائر الاستخبارات المقرّبة منه من يهمس بقليل من الحذر بأن للأمير بندر يداً في الاغتيالات السياسية في لبنان بدءاً من رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري وصولاً الى مدير فرع المعلومات في الأمن الداخلي اللواء وسام الحسن..

يعيش بندر وضعاً لا يحسد عليه، فقد تحوّل الحذر لديه الى مرض يصل الى حد الارتياب من كل شيء، ومن كل شخص، ولذلك فإن حياته اليومية لا تقوم على جدول منظّم من المواعيد والمهمات، بل هي قائمة مفتوحة، تتغير باستمرار، ولأتفه الأسباب، وقد يقفل على نفسه باب قصره دونما سبب حقيقي، لمجرد إحساس بأن ثمة من يتربّص به لقتله..

المسؤولون الأوروبيون والأميركيون باتوا يدركون تقلّبات مزاج الأمير بندر، ولذلك لا يتفاجأون إذا ما ألغى موعداً مع أحدهم، أو لم يحضر اجتماعاً مقرراً مسبقاً، خوفاً منه بأن قد يكون هناك من كمن له في الطريق أو من يخطط لتصفيته..

أكثر من عاصمة أوروبية كانت تنتظر قدوم بندر للتفاهم معه على بعض الملفات الاستخبارية، ولكن كل المواعيد التي جرى تحديدها ألغيت لأن بندر قرر عدم السفر، خوفاً من المجهول الذي قد يكون أحد مرافقيه..

يمسك الآن بالملف السوري، ويستفرد به، وله شركاء في أوروبا يتقاسمون معه الرأي، وهم يديرون اللعبة من خلف الستار، ويتواصلون مع قوى المعارضة السورية، ولكن بندر يتصرّف كتاجر جبان، فهو يدرك بأن في الملف السوري أهدافاً متعدّدة منها الهدف الشخصي الحاضر بقوة في معركة بندر مع بشار الأسد، ولكن هناك أبعاد أخرى منها الحصول على نصيب من الاموال التي تتدفق على المعارضة السورية عبر قنوات سرية، وتحقيق غايات بعيدة منها الحصول على دعم الولايات المتحدة والغرب لجهة تحقيق حلمه الكبير بأن يصل الى العرش في يوم ما عبر تحقيق منجز سياسي كبير كإسقاط النظام السوري وتفكيك معسكر الممانعة الممتد من طهران الى بيروت وغزة مروراً بالعراق وسوريا.

يكتفي بندر حالياً باللعب في الظلام، ويدرك بأن الضوء يحمل مخاطر على حياته، ولربما هناك من كشف بعض أسراره، ويتحيّن الفرصة للإنتقام منه..فهو بمثابة خبير الجراثيم، الذي يتعامل معها في المختبر ولكن يدرك مخاطرها فيما لو تسلّلت الى جسده. يعلم تماماً بأن يديه ملطّخة بدماء الخصوم والأصدقاء، وإن في عالم الاستخبارات، كما في عالم العسكرية، الخطأ الأول هو الخطأ الأخير، فما إن يقع في قبضة الضحايا فلن يترددوا في إيصاله الى حيث يجب أن يكونه..

اختار اللعب في مجال أحبه كثيراً، هو الاستخبارات وسمح له ذلك بتنفيذ كل ما يشاء بطريقة سريّة وبعيداً عن الأضواء، ووضع بصمة على جرائم كثيرة شارك في التخطيط لها وتمويلها، ولكن بمرور الوقت إكتشف بأنه صنع سياجاً من نار حول نفسه، فصار مطوّقاً بداخله، لا يستطيع الخروج منه بسهولة، ولا البقاء بداخله أيضاً لفترة طويلة..

خضع للعلاج من الإدمان ونجحت فترة التأهيل القاسية والطويلة في التخفيف من معاقرة السكر، ولكن المزاجية بدت تلاحقه حتى داخل غرفة نومه، فهو لا يكاد يقرر فعل شيء حتى ينتهي الى فعل نقيضه. يغضب المسؤولون الاستخباريون الأوروبيون وخصوصاً البريطانيون منه لأنه يقطع وعوداً معهم ثم حين يحين الوقت يطلب منهم عدم المجيء، أو حين يصلون الى المملكة يبقون في أماكنهم دون أن يتواصل معهم أحد فيضطّرون للعودة الى ديارهم. ولذلك قرروا دعوته الى لندن للتفاهم معهم بخصوص ملفات عديدة منها الملف السوري، ولا زالوا ينتظرون قدومه، ولكّنه لم يحدد موعداً حتى الآن!

جنون صفقات التسلّح

الغرب للخليجيين: منكم المال ومنّا العيال!

ناصر عنقاوي

تحـول قـادة الـغرب الى مـا يشبه ممثلين عن مصانع السلاح في دولهم، واختـاروا دول مجلس التعاون محطة رئيسية ودائمة لنشاطهم الدبلوماسي بطابعه الاقتصادي والتجاري. وطالما أن هناك مالاً وفيراً لدى الدول الحليفة للغرب، فلا بد من إعـادة تدويرها في الـدورة الرأسمالية الغربية..

لا تغيب عن سماء الخليج طائرات القادة الغربيين، فما إن يغـادر رئيس أوروبـي حتى يحط آخر، والموضوع الرئيسي في مباحثاته مع قادة الخليج هو بيع السلاح. وتيرة صفقات التسلّح تصاعدت خلال الشهور الماضية بوتيرة متسارعة، ويعود ذلك لأن الخليج يكتنز مالياً من وراء مداخيل النفط المرتفعة، والغرب، في المقابل، مازال يعيش تحت وطأة أزمات مالية واقتصادية خانقة.

وبـات معـروفـاً أن وراء كل صفقة تسلّح فضيحة فساد مالي كبرى، فليس هناك صفقة نزيهة، فالأمراء المتصارعون على صفقات التسلّح يتزايدون عدداً وجشعاً. ولا تكاد تخلو صفقة سلاح من أمير أو ممثل عنه، وقد باتت شركات السلاح الكبرى في أوروبا والولايات المتحدة على دراية تامة بطبيعة الاعمال المطلوبة لجهة الفوز بصفقة سلاح مع السعودية. فهناك هدايا، وبنات ليل، وأموال يتم تحويلها الى حسابات خاصة وسريّة، وغالباً ما تكون القائمة معروفة لدى قسم العلاقات العامة في شركات انتاج السلاح..

في صفقة جديدة بين الرياض وواشنطن أعلن عنها مؤخراً عبارة عن عقد تسلّح بقيمة ٧,٦ مليارات دولار تشمل ٧٠ مروحية أباتشي. وأبلغت وزارة الدفاع الاميركية الكونغرس بمشروع بيع ٢٠ طائرة نقل من طراز سي- ١٣٠ وخمس طائرات تموين من طراز كاي سي-١٣٠ للمملكة. وامـام الكونغرس، الذي ابلغ مهلة ثلاثين يوماً لتقديم أي اعتراض محتمل على الصفقة، ويعتبر العقد بعد هذه المهلة وفي حال عدم الاعتراض مبرماً بصورة نهائية. وتشمل الصفقة أيضا ١٢٠ محرك طائرة و٢٥ "لينك ١٦" وهو نظام للحلف الاطلسي مخصص لتبادل معلومات تكتيكية بين الوحدات العسكرية وقطع غيار إضافة الى التدريب الضروري، بحسب بيان الوكالة الاميركية.

وابـرز المستفيدين مـن العقد هـم شركة صناعة الطائرات لوكهيد مارتن والمجهزة جنرال الكتريكس وشركة صناعة المحركات رولس رويس. وقالت الوكالة (ان المملكة السعودية بحاجة الى هـذه الطـائرات لوقاية قوتها من التقادم) مشيرة الى أن ٢٥ طائرة (لن تغير التوازن العسكري في المنطقة).

وزاد النظام السعودي في السنوات الاخيرة بشكل واضح مشترياته من العتاد العسكري وأبرم نهاية ٢٠١٠ اكبر صفقة تسلّح مـع واشنطن شملت شـراء عـشرات الطـائرات والمروحيات بقيمة حوالى ٦٠ مليار دولار. وشملت تلك الصفقة خصوصا ٨٤ مقاتلة قاذفة إف - ١٥ وتحديث ٧٠ اخرى. وكذلك ١٧٨ مروحية هجومية (٧٠ أباتشي و٧٢ بلاك هوك و٣٦ ايه اتش-٦ اي) و١٢ مروحية خفيفة للتدريب إم دي- ٥٣٠ اف، وتمتد فترة التسليم بين ١٥ و٢٠ عاماً.



وقالت هيئة التعاون للأمن الدفاعي، الكيان المسئول عن مبيعات الأسلحة للدول الاجنبية في البنتاغون، قالت في بيان إنها أبلغت الكونغرس الأمريكي بالصفقة المقترحة لبيع ٢٠ طائرة من الطراز (سي-١٣٠جيه-٣٠) و٥ طائرات للتزويد بالوقود من الطراز (كيه سي-١٣٠جيه)، إضافة إلى معدات وقطع غيار ودعم تدريبي ولوجيستي، للسعودية.

وقالت الهيئة إن هذه الصفقة المقترحة (تصب في مصلحة السياسة الخارجية والأمن القومي للولايات المتحدة عن طريق المساعدة في تحسين أمن دولة صديقة كانت ولا تزال قوة مهمة بالنسبة للاستقرار السياسي والتقدم الاقتصادي بالشرق الأوسط). وأضافت الهيئة أن السعودية تحتاج إلى هذه الطائرات للمحافظة على أسطولها المتقادم ...إذ تعزز قدرة القوات الجوية الملكية السعودية على نشر ودعم وتشغيل مثل هـذه الطائرات بفعالية). ولفتت الهيئة إلى أن الصفقة المقترحة في الوقت نفسه (لن تؤدي إلى تغير في ميزان القوة العسكرية الأساسي بالمنطقة). في إشارة واضحة الى القوة العسكرية الاسرائيلية التي تبقى دائماً متفوقة في المنطقة كشرط أساسي وملزم في أي صفقة عسكرية تعقدها الولايات المتحدة مع دول المنطقة.

مـا يلفت في هـذه الصفقات أنـها لا تحمل بالضرورة أية بصمة تحوّل استراتيجي بقدر ما هي عمليات تحديث روتينية لأنظمة دفاع قائمة أو استكمال لأنظمة دفاعية يجري تحديثها بصـورة مستمرة لأنـهـا مصممة كيما تكون مرتبطة بنظام تسليحي استتباعي يجعل تحديثها الدائم جزءاً من ربط النظام الدفاعي السعودي بالنظام الاستراتيجي الأميركي ضرورة عسكرية واقتصادية..

مـا لفت انتباهنا في سياق التعليق على صفقة واشنطن والرياض، ما ذكره المواطن أحمد الزهراني في تغريدة له على تويتر بقوله: (يبدو ان الفساد القادم مع مستقبل مظلم سيجعل من سوداء اليمامة رمزاً للنزاهة) في إشارة إلى أن حجم الفساد المالي في الصفقات الجديدة سوف يجعل من الفساد المالي في ما مضى من صفقات مجرد أرقام زهيدة..فوراء كل صفقة سلاح فضيحة فساد مالي كبيرة.

عبد العزيز القاسم.. إعلامي خمسة نجوم

نجوم الظهر في سجون الداخلية

محمد فلالي

مشكلة بعض متزلفي الحكومة أنهم يبالغون في لفت إنتباهها لنوبات التزلّف بكل هذياناتها دون مراعاة لردود فعل الجمهور فضلاً عن مشاعره، ووعيه، وكرامته أيضاً..لأن من يحترم جمهوره يرقب كل كلمة يكتبها، فلعل ما يدوّن لا صلة له بالحقيقة لا من قريب أو بعيد. وأسوأ من كل المتزلفين في دنيانا الملينة بالشغوفين للمال والشهرة، أولئك الذين يمدحون قباحات النظام ويخرجونها على أنها روائع وتحف. ولكن مصيبة هؤلاء أنهم يكشفون عن ارتباطاتهم بجهاز أو أكثر في السلطة، كالذي أتحفنا ذات عام بمقالات عن (وزارة الداخلية التي لا تعرفونها) عبر (إيلاف) الالكترونية، وراح يبشرّنا بديمقراطية على وشك أن تولد من رحم (الداخلية)، فوجدناها عمّا قريب تسوق الاصلاحيين الى المعتقلات وتنكّل بهم، وتمنع عنهم حتى تناول الدواء من أمراض مزمنة، فضلاً عن منع السفر، والفصل الوظيفي التعسفي، والحرمان من مصدر العيش، والتضييق على الحركة..تلك هي الداخلية، ومازالت، وإن بدّلت جلدتها في الظاهر.

اليوم، جاءنا إعلامي آخر، يعتنق ذات العقيدة التبجيلية في وزارة الداخلية، صدقاً كان أم كذباً، ولعل الغاية هي الغاية، مال وشهرة وكفى، ولكن ما قاله يلفت الانتباه الى كم هي مأساة هذه الأمة في زمان يفترض أن يربأ المرء بنفسه عن مواضع الشبهة، وخصوصاً إطراء جهاز موضع إجماع الامة بأسرها على أنه وراء الاستبداد والتخلف والفقر والفوضى..وهو وزارة الداخلية. أفي هذا الوقت، ينبرى إعلامي وبكل جرأة لينثر المديح على هذا الجهاز المسؤول عن معاناة وآلام عشرات الآلاف من الابرياء والمظلومين؟

عبد العزيز القاسم، الاعلامي غير المتألق، والكاتب في صحيفة (الوطن) السعودية، لم يعرف بمواقف لافتة فضلاً عن أن تكون داعمة لمطالب الاصلاح أو ناقدة لأي من سياسات الدولة..ولكن قد تجد له ما يلفت في المقلب الآخر، أي في مدح الحكومة وسياساتها، وقد يصل به الأمر الإفراط في إطراء وزارة الداخلية..

هو لا يتردد في فعل ذلك، وما هو أسوأ أن يصرّ عليه حتى مع بيان خطأه.

مقالة صادمة كتبها القاسم في جريدة (الوطن) في ٥ نوفمبر بعنوان (جولة في أروقة سجن ذهبان الشهير)، افتتحها بما نصّه: (أخذني مدير السجن في جولة معه في أقسام ذلك السجن، للتعريف بأنشطته، وما يقدمه للنزلاء، فما لبث أن تبدد وجلي، وهدأ روعي، وأنا أرى صالات استقبال فاخرة، وغرف خلوات شبيهة بغرف فنادق الخمس نجوم). وهذه الفقرة بحد ذاتها تكفي عن قراءة بقية المقال الذي لن يخرج عن المقدمة الإطرائية والصادمة. وعلى من يقرأ هذه الديباجة أن يتخيّل أوضاع ليس سجن ذهبان، بل وبقية سجون وزارة الداخلية على اعتبار أن الحديث يراد منه ليس تبييض صفحة السجن بقدر ما هو تبييض لصفحة السجّان..وقد كفانا القاسم هذه المهمة، فقد وعد بأن يخصص المقالة اللاحقة للحديث عن سجن الحائر.

الأنكى من ذلك، وهي عادة طبالي النظام، أنهم يصبحوا ملكيين أكثر من الملك نفسه، بل يمارسوا النقد بالمقلوب، ويعدّوا ذلك شجاعة ليس بعدها شجاعة، حين يطالبوا من اشتهر بالظلم أن يبيّن للناس محاسن عدله وآيات رحمته بالناس، وينتقدوه لأنه لم يفعل ذلك. يقول القاسم (وكتبت مقالة هنا في "الوطن" وكانت بعنوان (موقوفو الداخل وبيان وزارة الداخلية)، ولمت فيه الداخلية أنها مقصّرة تماماً، بالتعريف بجهودها..)، لأنها بزهدها في مدح ذاتها وعدم اظهار محاسنها (تترك المجال لبعض الناعقين من خارج البلاد، ولبعض الناشطين المناوئين لها بالداخل؛ بتشويه قضية الموقوفين، وإظهار الجهاز بمظهر الجائر والظالم..). الله أكبر يقال ذلك في مثل هذا الوقت، حتى وكأننا لسنا في زمن الربيع العربي، ولا في وقت يشهد فيه المجتمع دعوات من كل الاطياف تطالب بوضع حد لملف السجناء وهم بعشرات الآلاف، وإلا فإن اختياره لمثال شاذ كي يسلّط الضوء عليه هو محاولة تشويه متعمدة لقضية عشرات الآلاف من المعتقلين في سجون الداخلية.


القاسم: اعلامي داخلية بخمس نجوم!

عاد القاسم وكرر ما بدأ به مقالته، وزعم بأنه (رأى صالات استقبال فاخرة، وغرف خلوات للمساجين، مقسماً بالله بأنها شبيهة بغرف فنادق الخمس نجوم، بشكل

أذهلني، ولكأنني في مركز تعليمي فـاره..). ووعد بمقالات أخرى عن مشاهداته في هذه السجون. وهـي عبارة كما يوضّح محاولة دفـاعيـة عـن وزارة الداخلية فيما يرتبط بعدد السجناء، وسبب بقاء بعضهم لفترات طويلة دون محاكمة، والأهـم هنا (ولمـاذا بعض الأحكام التي نظنها جائرة ومتجاوزة



المعتقل صالح المهوس
أصبح معاقاً (خمس نجوم)!

بحقّ بعض المساجين ذوي النشاط الفكري السياسي؟) فهو مـن الـواضـح يـركّـز على الناشطين السياسيين على وجه التحديد.

المقال احتوى على دسائس متعمّدة، فمن جهة يخوّف المجتمع من جماعة تكفيرية يراد تصوير أفرادهـا المعتقلين بأنهم الأغلبية في السجون، وأنـهـم خطر عظيم على المجتمع وليس السلطة. ومن جهة أخرى، يلفت القاسم المحسوبين على التيار الليبرالي بـأن من تطالبون بـالافـراج عنهم ليسوا سوى خطر عليهم، كقوله بأن الناشطة الليبرالية التي لا تنفك تدعو للإفراج عن المعتقلين (إن كانت ستعرف، أن هذا النموذج الذي تدافع عنه، لو أتاح جهاز الأمن له أية فرصة، لقام بقتلها، أو أسرها شخصياً على أقل الأحـوال). لا شك أنـه كـلام تحريضي مقصود. وكـذا حديثه عن الناشطين الحقوقيين الذين (يـجـأرون في الفضائيات بالظلم الشنيع الواقع على الموقوفين، ولا يدرون أي دور مهم تقوم به الداخلية في حماية مجتمعنا، من أمثال هذا الخارجي الحقيقي، الذي سيبدأ بهم نحراً والله، وهم حليقو اللحى، المتواصلون مع جمعيات وحكومات الغرب الكافرة بنظره). لغة واضحة فاضحة في خلطها وتخليطها، ولا تستهدف سوى تبرئة ساحة الداخلية وتخويف المجتمع من نفسه.

في مقالة ثانية في (الوطن) في ١٢ نوفمبر الجاري بعنوان (وقتما تهلل وجه مدير سجن الحاير)، يختصر قضية المعتقلين وسجون الداخلية في (القاعدة) ولذلك يبدأ مقالته بأن ثمة توجهاً صادقاً (بالإسراع في الإفراج عن هؤلاء بعد تأهيلهم فكرياً).

حـاول القاسم في مقالته هـذه أن يـردّ على الانتقادات الواسعة التي طالت مقالته الفـارطـة، ووصـف بعضها (بسملها الهوى والتعصّب)، ولكن من الواضح أنه خضع تحت تأثير هذه الانتقادات وراح يتعاطف مع (تلكم الأمهات التي تهطل دمعاتهن السخينة على فلذات أكبادهن الموقوفين، ومع أنين الأخوات المكلومات في إخوانهن الشباب، ومع أولئكم الكهول المفجوعين بأولادهم..)، بل دعى وزير الداخلية الجديد الى إنهاء (هذا الملف الشائك.. ولحسم قضية الذين لم يحاكموا من الموقوفين بـأسرع وقت)، دون أن ينسى التأكيد مرة تلو أخرى على (أمن الوطن).

القاسم وزّع في مقالته شهادات الإشادة والإطـراء حتى كاد أن يقلب المعادلة رأساً على عقب فيصبح السجّان ضحية والمجتمع مجموعة من الجـلاّديـن. ففي سـرده لقصة إقناع فـارس الزهراني للقبول بالجلوس مع علماء المناصحة أراد أن يختمها بإشادة لقيادات السجون عموماً (الـتـي تـروح في غالبها الإصـلاح) وكل ذلك بحسب تجربته ورؤيته، (وتعديل الفكر والمتطرّف، لا الانتقام والتشفي أو التعذيب) حسب زعمه. ثم يتلو بعد ذلك قائمة من الإمتيازات التي يتمتع بها السجناء منها التعليم والالتحاق بالجامعات والتمتّع بقراءة الكتب التي يوفّرهـا الضباط بـأثمان باهظة، إضافة الى صرف المساعدات المالية الشهرية لعوائل السجناء، وفتح حسابات خاصة في البنوك، وسداد الإجارات لهم ولعوائلهم، وشراء هدايا الاعياد، وإتاحة زيـارة السجناء لذويهم في مناسبات الفرح والحـزن..امـتـيـازات لا حصر لها يسردها القاسم في سياق تمجيد السجّانين وتـالياً وزارة الداخلية..

بعد ذلك كله، يختم القاسم مقالته، وهنا بيت القصيد، بشهادة حسن سيرة وسلوك لسجن الحائر (خرجت من سجن الحاير، وأنا مؤمن بيقينية مطلقة بـأنّ المعاملة التي تقدمها الدولة بتلك السجون في العموم؛ هي معاملة أب لأبنائه، أكثر منها معاملة حاكم ومحكوم، أو سجين ومأمور سجن..). ووعد القاسم قراءه بأن يواصل نقل مشاهداته، أو بـالأحرى إطراءاته، من سجون أخرى، وكان سجن الطرفية في القصيم هو محطته اللاحقة، ولا داعي لقراة ما سوف يكتبه القاسم، لأن مقالتيه السابقتين كافيتان لأن تنبيء عن كل ما يلي من مقالات، ومشاهدات..

أول رد فعل على مقالة القاسم وتوصيفه لسجن ذهبان بأنه بمثابة فندق خمسة نجوم، كان لعضو مجلس الشورى السابق وأستاذ الاقتصاد الزراعي بجامعة الملك سعود وعضو مجلس الاقتصاد الاعلى سابقاً الدكتور محمد قنيبيط في مقابلة جرت معه في ٩ نوفمبر الجـاري بقناة (روتـانـا خليجية) حيث شنّ هجوماً على مقالة القاسم وقال بأنه لم يحسن الكتابة في هذا المقال ودعا صحيفة (الوطن) الى منع مثل هذه المقالات معتبرها إساءة للوطن أمام المجتمع الدولي.

وتساءل القنيبط: كيف تعتبر يا قاسم سجن ذهبان خمس نجوم؟! وأضاف: السجن



حسن العوجان: قتل تحت التعذيب

سجن مهما كان فهو يعتبر سجن، معرباً عن استعداده للتبرع من ماله الشخصي لعبد العزيز قاسم بأن يختار إي مدينة وعلى حسابه الخاص أو يختار جنيف أو غيرها، وسيقوم بإغلاق الغرفة عليه ومنعه من الخروج لكي يعرف حقيقة السجن. وأضاف القنيبط: كيف يقول قاسم أنه ذهب إلى زيـارة السجن بعد منتصف الليل!! مشيرا إلى أنه ما يفتح الساعة الثانية ليلاً إلا الملاهي الليلية!! فيما تحفظ

القنيبط على كتابات ما وصفهم بالثلاثي المرح في صحيفتي الجزيرة والرياض.

أما الكاتب النقدي محمد الرطيان، فلفت في مقالته بعنوان (تنمية وديمقراطية) في صحيفة (المدينة) في ١٢ نوفمبر الجاري، وتحدث عن الحرية بطريقة إنسيابية حيث وضع الحرية أساساً لكل شيء بما في ذلك التنمية، إذ لا تنمية بلا حرية..وعقد مقارنة بين تنمية الامارات وديمقراطية الكويت. وانطلق من سؤال: ما قيمة الرغيف الذي لا تصله يدي بحرية؟ وأعاد طرح السؤال بصيغ متعددة. ومن بين أهم الاسئلة التي طرحها في هذا السياق، السؤال التالي: ما فائدة أن تنمو الأشياء حولك، ولا ينمو وعيك بها، وقدرتك على فهمها، وحريتك في رفضها وقبولها؟ لينجب منه طيف من الاسئلة ذات الصلة: ما فائدة الشارع الرائع/ الواسع/ النظيف/ الحديث.. وأنت لا تمارس فيه حرية الحديث؟ لينشأ على هذا السؤال قصة الحرية حين تكون عنواناً كبيراً. في تبسيط لمثال الحرية يكتب الرطيان: (في القفص طائر صغير تمنحه الماء، والحَب، والحب أيضًا.. مهما فعلت له، كل هذا لا يساوي شيئًا مقابل لحظة يطير فيها بحرية. القفص، حتى وإن كان من ذهب، يظل قفصًا.. **والسجن: سجن.. حتى وإن منحه أحدهم مرتبة خمسة نجوم فندقيّة!**) في إشارة الى توصيف قاسم لسجن ذهبان.

تتواصل ردود الفعل على مقالة قاسم حول ذهبان، فقد كتب ابراهيم السكران خاطرة مختصرة بعنوان (ذهبان هلتون) ردّ فيه على عبد العزيز قاسم. مقالة السكران هي صورة مناقضة لكل ما ورد في مقالات قاسم عن السجون، لأنها من رجل عاش التجربة واكتوى بها أو سمع عنها من أناس عانوا ويلات سجون الداخلية. يبدأ السكران خاطرته بالقول: في بلد ذهبان هلتون والحائر كراون والطرفية انتركونتنتال يوجد فينا من يحاول ترميم علاقته بالصعود على دموع الموجوعين والمكلومات.. انه ليس ذكاء التزلف ولا دهاء تسجيل النقاط عند صانع القرار..ولكنها الحدود الأخيرة للمنحدر الاخلاقي وقاع نهاية النفق. لم تعد القضية دين أو عقل وإنما الرمق الأخير من المروءة المذبوحة.. حين يحرك المرء مركبته على طريق التملق و يتفاجأ بأن صاحب الشأن لا يثق فيه و يمنع برامجه يدفعه الطريق ذاته الى الاعتقاد بأن ولي نعمته يريد احراق المزيد من بخور التسابيح حتى لو كانت من أنفاس الثكالى وعبّرات الاطفال.

يوجّه السكران كلاماً مباشراً لقاسم في منهجه كيما يكف عن استخدامه لأن فيه تعريضاً بقراءه (التذاكي بأن الراوي لم يرو الا ما شاهد وهو يدرك جيداً ان المشكلة فيما لم يطلعوه عليه هي قضية خداع للذات قبل خداع الآخرين). ويذكّر السكران قاسم بأن مجرد (إغماض العيون عن السجن بلا محاكمة و التسهير والضرب وسحب النساء و سجن العلماء في مسائل الاجتهاد..وتأخير العلاج وخروج الكثيرين بعاهات جسدية و دعاوى التعويض في ديوان المظالم. ألخ لأجل أن هناك غرفة خلوة ومعتوه يكفر المجتمع هذا ان انطلى على الذات والحمقى فالله أجل من ان يخدع سبحانه وهكذا تنتج المظالم خطاباً دفاعيا يثير الناس عليها أكثر من اقناعهم بعدلها).

المصيبة أن قاسم وبالرغم من ردود الفعل الواسعة والمكثفة والناقدة لمقالاته، يعود ويقول: لن أكتب سوى ما يمليه علي ضميري. ولا ندري إن كان يتحدث عن ضمير غائب، حيث أن الهجوم الذي تعرّض له خلال يومين على مواقع التواصل الاجتماعي وقال بأنه (لن يكتب سوى ما يمليه عليه ضميره دون محاباة لمن وصفهم بالمتاجرين بقضية الموقوفين). وقال عبر صفحته الشخصية بموقع تويتر (سأكتب بما يمليه ضميري وما سيسألني الله عنه يوم لا ينفعني أمير ولا غفير ولا مهدد. ووصفي لغرف الخلوات أنه غرف شبيهة بالفنادق الكبرى وصف حقيقي). وأضاف: (لكم أتمنى والله على المسؤولين إظهارها للإعلام وتصويرها كي يقطع الطريق ع المتاجرين بقضية الموقوفين ويا كثرهم، واسألوا الشيخ خ. الشايع).

في المقابل، كتب سجينان رسالة الى قاسم نشرت في ١٢ نوفمبر طالبا فيها بمناظرة على الهواء لتكذيب مزاعمه. وجاء في الرسالة تكذيب صريح لمقال عبد العزيز قاسم عن وصفه السجناء بأنهم يكفرون المجتمع ويسْبون النساء والذراري. وبحسب موقع برق أكد كل من السجين ي.س.ش صاحب الرقم ٢٠٤ والسجين هـ.م.ر صاحب الرقم ٦٦٩، في رسالتهما أن جولة عبد العزيز قاسم في سجن ذهبان لا تمثل جميع الموقوفين، بل إنه قابل نسبة ضئيلة ممن يمثلون الخوارج ولا يمثلون جميع السجناء.

وأكدت الرسالة أن مزاعم عبد العزيز قاسم تتعارض تماماً مع تقارير حقوقية محلية ودولية، إضافة إلى معارضتها ما أكّدته لجان المناصحة في السجون وفي مركز



جلد خمس نجوم!

الأمير محمد بن نايف وهم أهل الاختصاص في هذ الأمر. وأشارت الرسالة إلى أن كل هذه الجهات أكّدت أن الموقوفين من خيرة شباب المجتمع وفيهم خيرٍ كثير، مستشهدة بما بثته قناة الإخبارية وأعيدَ بثه أكثر من مرتين، وموقف المِحرج والعبِيد حيث طالبا جهاز المباحث بسرعة إطلاق سراح هؤلاء الموقوفين . وقارنت الرسالة بين موقف بعض الموقوفين من الذهاب إلى العراق والبوسنة والشيشان وأفغانستان وكل بلاد المسلمين للدفاع عن أعراضهم بفتوى العلماء، وبين بعض تصريحات عبد العزيز قاسم ومواقفه المتناقضة في قضية كشغري وغيره. ووصفت الرسالة أوضاع السجون بالمتردية والمعاملة بالسيئة وانتزاع الاعتراف تحت التعذيب، نافية تماما زعم عبد العزيز قاسم بكونها فندق ٥ نجوم!





مصداقية المهنة على المحك

مجزرة رؤساء التحرير!

يحي مفتي

تبدّلت مهنة الصحافة، فلم تعد وسيلة لنقل الخبر، وتعميم رؤية أو صنع وعي عام بقضية.. فتلك كانت مهنة من دخل عالم الصحافة من أبوابها الصحيحة، وعاهد نفسه وجمهوره على تحرّي الدقة في نقل الخبر والرأي حفاظاً على شرف مهنته واحتراماً لجمهور بات اليوم أكثر من أي وقت مضى قادراً على التمييز بين الغث والسمين والسليم والسقيم من الآراء. من المؤسف، أن بعض من امتهن الصحافة قرّر منذ البداية أن يجعل منها وسيلة استرزاق فحسب، بما تستلزمه من فبركة أخبار، وتسميم الوعي العام، واعتماد أدوات الإثارة، والتشهير المنتج للشهرة..مع قلة البضاعة المعرفية واللغوية.

لم يقتصر الأمر على طبقة من الصحافيين دون غيرها، فقد دخل الى طبقة رؤساء التحرير من لا عهد لهم بالكتابة الصحافية، فضلاً عن الرؤية العميقة للوقائع السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية. الأنكى من ذلك كله، أن يتولى صحافي مبتدىء لا يتقن قواعد الكتابة الصحيحة وأصول اللغة منصب رئيس تحرير صحيفة متخصصة، كالمراسل الرياضي الذي يرأس تحرير صحيفة ذات صلة بالمال والاعمال والاقتصاد، أو من تخرّج في كلية الزراعة وهو يحاضر في الطب البشري، أو في تاريخ الحضارات..

اليوم، تستفحل أزمة الصحافة المحلية لتتجاوز مجرد غياب الصحافي المحترف الذي يزاول مهمة الصحافة على أصولها، لتصل الى أزمة رئيس التحرير الذي تحوّل الى مجرد تاجر، يقامر بالكلمة والرأي في عملية استثمار مفتوحة مع السلطة..وبعض هؤلاء بات يعمل موظفاً في جهاز أمني، وصار يتقن لغته، ويتقمص شخصية رجل الأمن، فيطلق التهديدات ضد الناس، ويتوعّدهم بأشد العقاب..

منذ انطلاق الاحتجاجات في هذا البلد، كشف رؤساء تحرير صحف محلية عن وجه قبيح، بحيث أصبحوا يتصرفون كما لو أنهم ناطقون رسميون بإسم وزارة الداخلية، وقد ذهبوا الى أبعد من ذلك..

في واحدة من القصص الخبرية التي أوقعت طائفة من رؤساء التحرير في أزمة أخلاقية ومهنية، هي ما أطلق عليها (عملية الخفجي) في ١٨ أكتوبر الماضي حيث افترض رئيس تحرير صحيفة (الوطن) سابقاً ومدير قناة (العرب) حالياً جمال خاشقجي أن الحرس الثوري الايراني أرسل مجموعة من عناصره في قوارب صيد ليتسللوا عبر الخفجي لتنفيذ عملية عسكرية ضد منشآت حيوية في المملكة..

ماحدث في الوهلة الأولى أن خبراً أذيع في وسائل الاعلام عن أن ١٥ مواطناً ايرانياً جرى اعتقالهم في ١٨ أكتوبر الماضي من قبل حرس الحدود السعودي خلال عملية تسلل عبر الخفجي من الساحل الشرقي باستعمال قارب حسب صحيفة (سعودي جازيت). وفجأة صدر ما يشبه الخبر العاجل بأن حرس الحدود أحبط عملية تخريب إيرانية ضد المملكة شارك فيها مواطنون سعوديون، على حد جمال خاشقجي..

خاشقجي لم يكتف بوضع الحادثة في اطارها الأمني، بل ذهب بها الى أبعد من ذلك بحيث اعتبرها قضية تتعلق بالاقتصاد العالمي والأمن الدولي وسوف تكون لهاتداعيات على مصالح الدول، هذا في وقت لم يصدر أي بيان عن وزارة الداخلية السعودية ولم يصدر ما يفيد بأي معلومة حول طبيعة الحادث وأبعاده..خاشقجي أحال الأمر الى (مصادر موثوقة) مرة و(مصدر سعودي) مرة أخرى، دون تحديد هوية ومنصب هذا المصدر.

سلمان الدوسري الذي دخل على خط التحريض خلال حركة الاحتجاجات التي تشهدها المملكة، ليضيف أبعاداً أخرى لعملية الخفجي، ويعزز من تحليله بربط ما جرى في الخفجي بوجود حاضنة محلية وأن ايران لديها علاقات وثيقة مع سعوديين

في الداخل، في إشارة واضحة الى الشيعة في المنطقة الشرقية والدليل على ذلك بحسب طريقة الدوسري في النظر الى الأمور (فنظرة سريعة للمواقع الإخبارية الإيرانية الرسمية تشرح هذه العلاقة بوضوح..). الملفت أن الدوسري بقي متمسكاً بموقف حتى بعد توضيحات صدرت من مصادر أمنية رسمية بألا علاقة للإيرانيين المقبوض عليهم بخلايا إرهابية وقال (شخصياً غير مقتنع بالتبريرات وأختلف معها).

بدأت قصة عملية الخفجي من إشاعة القبض على أفراد من الحرس الثوري أطلقها رئيس قناة (العرب) التي يموّلها الوليد بن طلال

تغريدات الخاشقجي جاءت على النحو التالي وبصورة متسلسلة:

- العملية الايرانية التي أحبطها بحمد الله خفر السواحل خطيرة وغير مسبوقة وسيكون لها تداعياتها

- عاجل وهام: حرس الحدود السعودي يحبط عملية تخريب ايرانية ضد المملكة شارك فيها مواطنين سعوديين (هكذا والصحيح مواطنون سعوديون).

- الخبر أكيد ومن مصادر موثوقة.

- أتوقع أن يكون رد المملكة على ايران حاسماً وسوف تشهد العملية تصعيد دولي لما لها من انتهاك لسيادة البلاد وتهديد لمصالح اقتصادية تؤثر عالمياً

- مصدر سعودي يصف السعوديين الذين تعاونوا مع الحرس الثوري في العملية بالخونة والعملاء.. يوجد غضب شديد تجاه العملية التي وصفت بالخطيرة جداً.

وتبعه بعد ذلك عدد من رؤساء التحرير الذين ردّدوا كالببغاء ما قاله خاشقجي، فكتب رئيس تحرير (الاقتصادية) سلمان الدوسري: (النظام الايراني ليس لديه ما يخسره لذلك هي محاولات انتحارية لاكمال خطط تصدير الثورة التي يفاخر بها الملالي فرداً فردا).

الاعلامي والأكاديمي سليمان الهتلان كتب (حرس الحدود جدير بالتقدير لنجاحه في التصدي لعملية الخفجي والقبض على ١٤ إرهابياً من الحرس الثوري).

أبو لجين ابراهيم عقّب وعلّق: (وجود خونة من السعوديين مع الحرس الثوري المقبوض عليهم في الخفجي يؤكد خطورة عملاء الداخل في هذه الظروف الحرجة، ومدى علاقتهم المباشرة بإيران!).

عضوان الاحمري تابع (عملية الخفجي تحية لرجال الحرس الحدود..وصورة من غير تحية لكل من ينكرون مخططات إيران).

نسق التساقط المتعاقب على طريقة الصحون المتدحرجة تواصل، فكان من بينها مقالة رئيس تحرير (الشرق الأوسط) سابقاً، ومدير قناة (العربية) حالياً عبد الرحمن الراشد، في مقالته (من الشرقية السعودية إلى الأشرفية اللبنانية) المنشورة في صحيفة (الشرق الأوسط) في ٢٠ أكتوبر الماضي والذي أسس مقالته على شائعة مفبركة فصاغ سيناريو مؤامرة ايرانية سورية تبدأ من تحذير الابراهيمي من أن الآزمة السورية لن تبقى داخل سورية الى انفجار الاشرفية ومقتل اللواء وسام الحسن، مدير فرع المعلومات اللبناني، ثم يربط ذلك (وقبله بيوم أمسك حرس الحدود السعودي بمتسللين من الحرس الثوري وصلوا إلى اليابسة في المنطقة الشرقية السعودية مسلحين بأسلحة وتجهيزات تدلل على عمليات تخريب مبيتة، ثم لاحق الحرس السعودي القارب وقبض على من فيه)، ليرسم سياقاً تحليلياً يستند على حقيقة افتراضية من أن (سوريا وإيران اشتهرتا في العالم بعمليات التخريب على مدى ثلاثين عاما..)، فكيف لم تكشف الحكومة السعودية عن عمليات التخريب التي قام بها النظام السوري الا منذ انطلاق الثورة الشعبية في سورية قبل أكثر من عام ونصف.

الراشد ربط بين تحذير الابراهيمي بأن الأزمة السورية ستمتد الى خارج حدود سورية وبين عملية الخفجي، هكذا ببساطة لأن منهج الاستقطاب السياسي يفترض نوعاً صارماً من التحليل للوقائع، كما يستوجب طريقة خاصة في فبركة القصص الاخبارية.

وتتواصل عملية السقوط، فيكتب محمد عبد الواحد في صحيفة (عكاظ) في ١٩ أكتوبر الماضي مقالاً بعنوان (عمار الحكيم ودسائس الشر). وبصرف النظر عن ضعف السبك وفقر عبد الواحد لقواعد الكتابة، فإنه يجهل شخصية من يكتب عنه، ولو اختار شخصية عراقية أخرى غير عمار الحكيم لكن أتقن الحبكة. فقد عرف عن الحكيم علاقاته المتميّزة مع قيادات دول مجلس التعاون الخليجي، وهو حريص على التواصل معها، ولطالما دخل في مناكفات مع الايرانيين حتى وإن كان على حساب جمهور العراقيين، ولكن فيما يبدو، فإن الكاتب اختار الحكيم لشهرته فأراد أن يكون هدفاً في حفلة الفبركة الاعلامية.

وبملء القلم والفم كتب عبد الواحد ما نصّه: (بالأمس نقلت وكالات الأنباء أنه تم كشف أسلحة وذخائر ومعدات للتفجير في "صهريج" كانوا يحاولون تصديرها إلى مدينة القطيف في بلادنا.. وأن من يقف خلف تسريب هذه الأسلحة إلى المملكة هو "عمار الحكيم" الزعيم الشيعي العراقي الموالي لإيران والمؤتمر والمتآمر بأمر قادتها..)، طبعا لأن الخبر لم تنشره وكالات أنباء (وكالعادة لم تعلق جهاتنا الأمنية والرسمية بشيء على اعتبار أن الله سبحانه وتعالى قد أعاد كيد الكائدين إلى نحورهم وكشفت أسلحتهم قبل أن يصل أذاها إلى بلادنا الآمنة).

وراح عبد الواحد يصوغ نقاشاً حول دوافع الحكيم للضلوع في عملية تخريبية داخل المملكة، ولماذا لم يستفد من دروس الدمار في العراق (كل هذه الكوارث التي حلت بالعراق وأهله ومكتسباته ألا تكفي.. ويريد تصدير ما حل به من بلاء إلى غيره من بلدان آمنت بوحدتها وتلاحمها فحصدت استقرار وطنها).

التراجع الطفولي

الخاشقجي أوقف هدير تغريداته في عملية الخفجي ليوقف فرامل الشحن الاعلامي بنقله:

- مصادر أمنية للإقتصادية: لا ارتباط للإيرانيين المقبوض عليهم بخلايا إرهابية.

ثم اعتذر خاشقجي لمتابعيه وقال (أعتذر للزملاء في تويتر فخبر عملية الخفجي الذي وزعته كان دقيقاً في ذكر واقعة التسلل ولكن مصدري أضفى عليه بعداً سياسياً غير موجود والله أعلم).

الصحافية السعودية المقيمة في بروكلين ابتهال مبارك قالت بأن نشر مثل هذه التقارير الكاذبة حول حادثة الخفجي لها دوافع خفية. فإضافة الى تأجيج النزاع الطائفي وتشويه سمعة شيعة السعودية، فإن الهدف هو صرف انتباه الشعب عن القضايا الأخرى مثل أوضاع السجناء السياسيين في البلاد.

الكلمة الفاضحة

كان يمكن أن يمر كل ما سبق على الرأي العام، وأن يدخل ضمن عملية التحريض الغرائزية المتواصلة وترسيخ الانقسامات الاجتماعية والسياسية والاثنية، وكان يمكن أن يخرج رؤساء التحرير والكتّاب من حفلة الجنون التي أطلقوها بسلام بل ومنتصرين أيضاً، ولكن يبدو أن الاتهامات غير المستندة على دليل لها كلف سياسية، ولن يقبل المتّهمون سواء كانوا دولاً أم جماعات أم أفراداً أن يخضعوا تحت تأثير جنون من لا يقدّرون قيمة الكلمة غير المسؤولة.

وزير الداخلية السابق، أحمد بن عبد العزيز، عقد مؤتمراً صحافياً في ٢١ أكتوبر الماضي أي قبل أيام من بدء موسم الحج، وتناول قضية المتسللين الايرانيين وقال: الذي بلغنا حتى الآن أنهم قادمون لطلب المعيشة وكان قدومهم حسب ما ذكروا أنهم كانوا متجهين للكويت، ولكن صادف أنهم في الحدود السعودية وأنزلهم صاحب القارب على الشاطئ السعودي..ولم يظهر لنا أن لهم نوايا سيئة .وبشأن امكانية المخاوف من الحجاج الإيرانيين تحديداً وخاصة مع التوتر السني الشيعي في المنطقة أفاد أن الجانب الإيراني أكد للمملكة حرصهم على راحة الحجيج وأدائهم للحج مثل ما تحرص المملكة أو أكثر.

بطبيعة الحال، فإن كلام وزير الداخلية حسم وختم الجدل حول قضية عملية الخفجي المزعومة، وبالتالي توقف هدير (التغريدات) المجنونة. وفيما تقدّم خاشقجي باعتذاره، وسحب الهتلان تصريحه، قرر البعض التمسّك برأيه حتى النهاية مثل الدوسري والراشد، اعتقاداً منهم بأن مثل هذا التراجع سيضاعف لهم العذاب من قبل الرأي العام الذي خدعوه ولم يحترموه ولو بكلمة توضيحية عن ملابسات ما جرى.

مع المفتي وجنوح فتاواه

عبد الوهاب فقي



لم نعتد في هذه المجلة التطرّق الى ما يمت بصلة للمقامات الروحية من أي طائفة أو حتى دين، لاعتقادنا بأن لهذه المقامات احترامها وتقديرها وسط جمهور من الأتباع، ونعتقد جازمين بأن من المروءة والنبل النأي عن كل ما يسيء الى الشخصيات الدينية التي تكرّس علمها وجهدها ووقتها للارتقاء بالقيم الروحية للمجتمع ورفع مستوى وعيه بالقضايا العامة التي تتصل بمصالح الأمة. غير أننا في الوقت نفسه نجلّ المقامات الروحية عن التعصيم والتصنيم، فهي مهما بلغت من درجات عليا في العلم والتقوى تبقى محكومة بقوانين الخطأ والصواب، لأنها بشر مثلنا. ولذلك، فإن المقولة الدارجة بأن لحوم العلماء مسمومة، المستمدة من قول لابن عساكر الدمشقي في كتابه (تبيين كذب المفتري ص ٢٩)، والذي حملها البعض على كونه حديثاً نبوياً، لا يجب أن تأخذ أبعاداً دينية، كالذي دفع بالبعض الى اعتبار غيبة العلماء بمثابة توهين للدين والشريعة، والعكس صحيح.

نقول بأن تقدير وتوقير وتبجيل العلماء لا يتعارض البته مع عرض أقوالهم على الأصول والثوابت من الحق، وكل قول هو قابل للرد الا كتاب الله سبحانه وماثبت من سنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم. وإن العلماء حين يتحوّلوا الى شخصيات عامة ويناقشون في قضايا خلافية ليس فيها نص ديني ثابت، فإنهم، شأن غيرهم من بني البشر، قد يخطئون وقد يصيبون. ولأن الفقهاء موكلون بتقديم أحكام في الموضوعات الواضحة، وبالتالي فإن خطأ العالم في التشخيص يفضي بالضرورة الى خطأ في الحكم على الموضوع. وهناك حالات عديدة أفتى فيها العلماء في موضوعات هي غير مشخّصة بشكل دقيق، ما أوقع الجمهور في التباسات.

المفتي العام للمملكة، وهو منصب استحدثه الملك فيصل في سياق محاولة لتنظيم عمل العلماء وربط قيادة المؤسسة الدينية بشخصية قريبة منه، وهو ما لم ينله، لأن المفتي الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ عرف بقوة الشخصية والشجاعة في البوح بمواقفه، ولم يكن يقبل كل ما يعرض عليه من موضوعات، وقد اشتهر بكتابه (تحكيم القوانين) الذي عبّر فيه عن رفضه لكثير من قوانين الدولة باعتبارها قوانين وضعية وليست مستمدة من الشريعة، ما أثار عليه الملك فيصل وأخوته، ومع ذلك بقي الشيخ بن ابراهيم متمسّكاً بمواقفه حتى النهاية، وقد شكّل كتابه مرجعاً لأولئك الذين انتقدوا الدولة السعودية التي راحت تستعير قوانين مدنية لتضع حائلاً بين أحكام شرعية يتولى علماء المؤسسة الوهابية إصدارها وأحكام مدنية مستمدة من تشريعات حديثة فرنسية وبريطانية واميركية..

لم يستجب الشيخ محمد بن ابراهيم لكل ما كان يطلبه فيصل منه، رغم وقوف الأول مع الأخير في الصراع على العرش واصداره فتوى بعزل الملك سعود وتأييد فيصل لاعتلاء العرش لما فيه مصلحة البلاد والعباد.

وبسبب القوة التي كان يتمتع بها الشيخ محمد بن ابراهيم، قرّر الملك فيصل تشكيل هيئة كبار العلماء كيما يستطيع التحكم في أعضائها وبقي الحال كما هو عليه حتى تعيين الشيخ عبد العزيز بن باز سنة ١٩٨٤ في عهد الملك فهد، فيما اختار الأخير لنفسه لقب (خادم الحرمين الشريفين) لمواجهة استحقاقات ما بعد نجاح الثورة الايرانية سنة ١٩٧٩، وظهور حركة جهيمان في مكة المكرمة في نوفمبر ١٩٧٩.

الشيخ بن باز، رغم ما يقال عن تماهيه مع السلطة، إلا أنه اختار عدم الانغماس في شؤون السياسة الا بالقدر الضئيل وغير المكلف، ونادراً ما كان يدلي برأي في شأن سياسي باستثناء موضوعات محددة وكبرى مثل الصلح مع الكيان الاسرائيلي، وحكم استقدام قوات أجنبية، والموقف من القومية العربية وموضوعات أخرى قليلة. صحيح، أن للشيخ بن باز مواقف إزاء طوائف إسلامية مثل الشيعة والصوفية والأباضية وغيرها وهي مواقف درج علماء المذهب على اطلاقها كجزء من التزامهم العقدي..

في ٢٩ محرم ١٤٢٠هـ الموافق ١٥ مايو ١٩٩٩، صدر الأمر الملكي رقم أ/٢٠ بتعيين الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتياً عاماً للمملكة ورئيسا لهيئة كبار العلماء والبحوث العلمية والإفتاء بعد وفاة الشيخ عبد العزيز بن باز. وكان الشيخ عبد العزيز خطيباً وإماماً في جامع الشيخ محمد بن ابراهيم بعد وفاته سنة ١٣٨٩هـ، الا أنه كما يبدو لم يقتف أثر أستاذه في العلاقة مع الحاكم..

وفيما يبدو، فإن المفتي الحالي وجد نفسه في خضم تجاذبات سياسية واجتماعية وفكرية حادة وغير مسبوقة، وبسبب قلة تجربته السياسية أقحم في عالم السياسة عنوة، فصار يدلو بدلوه في كل شاردة وواردة، حتى صار يتوقع منه موقفاً في كل قضية، ولو لم يطلب منه ذلك، على الأقل هكذا يعتقد بعض العارفين بشؤون السلطة والمقرّبين من دوائر الحكم..

ورغم عدم وجود صراع أجنحة حاد وظاهر أو حتى استقطاب سياسي واضح، فإن المفتي بدا كما لو أنه محسوب على جناح الملك، في مقابل علماء آخرين يصطفون الى جانب الجناح السديري أو ماتبقى منه..المفتي اليوم هو في معادلة العائلة المالكة ممثل لمصالح جناح فيها، ولكن ليس بالضرورة أن يعلن ذلك صراحة.

لاريب أن هناك من الأمراء الكبار من

يريد تحويل منصب المفتي الى مجرد أداة ختم للمصادقة على كل سياسات ومواقف السلطة، وأن يقتصر تدخل المفتي في السياسة على مجرد المباركة وليس إبداء الرأي..

المفتي الحالي أدلى بمواقف مثيرة في قضايا خلافية، ولم يكن مضطراً لفعل ذلك، ولا ندري إن كانت هناك جهة ما في السلطة تدفعه لذلك، وإن حدث فإنه يضرّ أيما إضرار بمقام المفتي، لأن الأخير يفترض أن يكون مصوناً ومحترماً من أي محاولة ابتزاز أو ابتذال من أي جهة كانت.

لم يكن المفتي مضطراً لأن يتحدّث عن قضايا خارجية، كأن يفتي في الثورة الشعبية في تونس ومصر كيما يطابق موقفه موقف السلطة، رغم أن الموقف الديني في مثل هذه الحادثة لم يكن مطلوباً، لوجود علماء دين كبار في بلدان المسلمين ممن لديهم القدرة على ضبط الاحكام واستنباطها بناء على تشخيص دقيق للواقع..

المفتي لم يقتصر في الافتاء على الموضوعات التقليدية التي قد يعذر فيه الخطأ الطفيف في الفهم، ولكن أن يخوض المفتي في موضوعات حديثة وذات أبعاد متشعّبة، لمجرد أن للحكومة موقفاً منها رغم أن الالتباس فيها شديد، ويتطلب المزيد من التأني والتريّث، قبل الحكم عليه بحيث يبعث على التندّر أحياناً..

الفقهاء موكلون بتقديم أحكام في الموضوعات الواضحة، وبالتالي فإن خطأ العالم في التشخيص يفضي بالضرورة الى خطأ في الحكم على الموضوع

في الصحافة هناك من اختار عناوين لمواقف المفتي بعناية فائقة، كما لو أن من اختارها أراد التشهير بالمفتي أكثر من كونه اختياراً لعنوان بخلفية صحافية. ففي ٢٥ أكتوبر الماضي نشرت الصحافة خبراً بعنوان (مفتي السعودية يشن هجوما حادا على المطالبين بدولة مدنية). هجوم المفتي لم يكن في مسجده الخاص بالرياض، ولا في مقابلة مع صحيفة محلية، وإنما أطلقه أمام مئات الآلاف من الحجاج في جبل عرفات حيث ألقى المفتي خطبة شنّ فيها حملة عنيفة على المطالبين بدولة مدنية. وفي مسجد نمرة ندّد المفتي بـ (شعار في هذا الزمن بين المسلمين يدعو الى دولة مدنية ديموقراطية غير مرتبطة بالشريعة الاسلامية وتقر الكثير من المنكرات (...) وهذا بلا شك ينافي تعاليم الاسلام ويخالف الكتاب والسنة واصول الشريعة). وأضاف إن (شرذمة من البشر تحاول الطعن في هذا الدين بحجج واهية وشعارات زائفة. بدعوى الحرية زعموا أن الدين لا يصلح لهذه الحالات واعترضوا على القصاص والحدود لانها تنافي حقوق الانسان (...) وان الامة الاسلامية اذا طبقت الشريعة انطوت عن الامم الراقية وتقوقعت).

لا ريب أن ما ورد في خطبة المفتي لم يكن دقيقاً على الإطلاق، وليس هناك من طعن في الدين، وأن الاحتجاجات التي أوردها في كلمته تنتمي الى فترة سابقة، هو يدركها تماماً وليس هناك من يثيرها في ميادين الربيع العربي، التي امتلئت بالمصلين وغير المصلين ولكن من غير المناهضين للأديان، بل كانوا يطالبوا بدولة ديمقراطية تحقق فيها العدل والمساواة للجميع ويقر فيها مبدأ المواطنة.

وذهب المفتي بعيداً في طرق بعض الموضوعات الحاضرة أو السابقة، رغم أنها موضوعات مستهلكة ولم تعد تكتسب أهمية كبيرة، ولكن قد يبدو من كل ما قاله مهماً رغم أنه قيل في سياق منقطع، وأنها كلمة تستحق الوقوف طويلاً، كقوله هناك (أموال مودعة لمسلمين في غير الدول الاسلامية ما ساعد على نمو اقتصادها وتقدمها، فلو كانت تلك الاموال في بلاد الاسلام لادت لنمو اقتصادها واقامة مشروعات تفيد الامة (...) ومعالجة الفقر والتخلف والبطالة).

ولكن السياق المبتور في خطاب المفتي يجعل من غير المؤكد التزامه بخط سياسي ثابت ومتماسك، فقد اعتنق في خطبة لاحقة مواقف مذهلة كونها خلطت ما هو حق وحرية وبين ما هو محظور سياسي وأخلاقي وهنا ما يؤكد على أن إدراك الموضوعات بدقة ضروري لجهة فهمها قبل الحكم عليها..

فقد نشرت الصحف كلاماً لافتاً للمفتي حول الظهور على الفضائيات ومناقشة قضايا عامة والتي اعتبرها (خيانة وجريمة كبرى وإعانة لأعداء الإسلام). وكانت صحيفة (عكاظ) قد نشرت في ١٠ نوفمبر مقتطفات من خطبة الجمعة للمفتي بجامع الإمام تركي بن عبد الله في الرياض حرّم فيها الاتصال بالقنوات الفضائية الاجنبية، وقال بأن (هذه القنوات مغرضة هدفها نشر الفوضى والفتن في بلاد المسلمين ولا هم لها إلا تفريق الصفوف وضرب وحدة الأمة). وفرض طريقة شرعية وحيدة لإيصال الرأي الى المسؤول وهي (الكتابة إلى المسؤولين وإيضاح ما لدى أي فرد من ملاحظات أو مرئيات، وأن نشرها وإعطاءها للقنوات المغرضة ضرب من الخيانة وجريمة كبرى).

وحذّر المفتي من جهة ثانية (من التستر على المجرمين أو إيوائهم أو من يحاولون الإخلال بالأمن أو تنظيم الاغتيالات)، موضحا أن ذلك (لا يجوز ويعد خيانة وإعانة لأعداء الإسلام)؛ مطالبا بإبلاغ الجهات المختصة عن هؤلاء لدرء أخطارهم، ومنع وقوع الجرائم).

وعلى ما يبدو فإن قائمة الاسرار التي يتحدث

وجد المفتي الحالي نفسه في خضم تجاذبات سياسية واجتماعية وفكرية حادة، وبسبب قلة تجربته السياسية أقحم في عالم السياسة عنوة، فصار يفتي بطلاقة

عنها المفتي تنزّلت من السياسة الى كل شؤون المجتمع فراح يتحدث عن (ضرورة كتمان أسرار المهن التي فيها مصالح المسلمين، وعلى الأطباء الحفاظ على أسرار مرضاهم، وكذلك إذا استفتي المفتي عن مسألة خاصة فلا يجوز الإعلان عنها لآخرين أو التحدث بها لغير أصحاب الشأن بها، وأيضا على القاضي والمستشار الحفاظ على أسرار المدعين أو المتخاصمين). ثم ارتقى الى اسرار المسلمين (وخصوصا في القضايا الأمنية والأسرار العسكرية) وحرّم افشاءها (لأن في إفشائها أو إذاعتها ضررا على الوطن والمواطن).

بطبيعة الحال، إن الاستطراد في سرد قضايا يعتقد بأنها ذات صلة قد لا يعكس حقيقة الموقف فهو يندرج في سياق توارد الخواطر، ولكن للمفتي مواقف في قضايا ذات صلة تعكس موقفاً ملتبساً كموقفه من تويتر، الذي قال عنه بأنه قائم على الكذب والافتراء، رغم أن تويتر ليس سوى موقع للتواصل الاجتماعي والذي يصدق عليه ما يصدق على غيره من وسائل الاتصال الاجتماعي من الصدق والكذب، ويذكّرنا هذا الموقف بما قاله وزير الشؤون الإسلامية الشيخ صالح آل الشيخ عن تويتر بما نصّه: ما يحدث في تويتر لا يمثل العقلية السوية التي وصل إليها الإنسان السعودي.

خيارات الهروب

ربيع عربي في السعودية

هاشم عبد الستار

منذ اندلاع الربيع العربي لجأت السعودية، ودول خليجية أخرى، الى خيار (التقديمات الاجتماعية) من أجل احتواء فرص انتقال آثار الثورة اليها. وكان الاعتقاد السائد بأن الثروة سلاح ضد الثورة، ولذلك ضخّت السعودية ما يقرب من ١٢٠ مليار ريال (٣٢ مليار دولار) في هيئة منح مقطوعة، وزيادة المكافئات عبر حافز، وقروض، ومساعدات، وقامت دول خليجية أخرى بتدابير مماثلة عبر تقديم مكافأة مالية مقطوعة للعائلات كما في الكويت والبحرين وقطر..

على أية حال، فإن التقديمات الاجتماعية لم تحقق نجاحاً كاملاً، بل شهدت دول خليجية ما يشبه انتفاضات شعبية مفتوحة على احتمالات غير معلومة، كما حدث في البحرين منذ أكثر من عام ونصف العام، وحدث قريب من ذلك في عمان والامارات ويحدث الآن في الكويت والسعودية..وما يمكن المجادلة فيه أن التقديمات الاجتماعية لم تعد حاضرة كأثر، فيما يتصاعد مطلب التغيير السياسي وسط الغالبية العظمى من السكان..

نقرأ الآن وبعد مرور نحو عامين على اندلاع الربيع العربي أن دول الخليج لا تزال في صميم تداعيات الربيع العربي وفي مواجهة ضروراته..في قراءة للباحث في مركز دراسات الخليج نائل شحادة بعنوان (علاج الثورة بالثروة في الخليج) يرى بأن انزلاق دول عربية الى صراعات داخلية أو خضوعها لعملية تحول عصيبة، وتزايد وتيرة السخط الشعبي والاستياء في الداخل، أصبحت دول الخليج خريصة على وقف المد الثوري عبر مساعدات سخيّة على الدول التي اجتاحها الربيع العربي، إلى جانب حزم (التقديمات الاجتماعية) التي تشمل زيادة كبيرة في الأجور وزيادات كبيرة في وظائف القطاع العام لمواطنيها، ورفع إعانات البطالة لديها.

ويرى شحادة بأن دول الخليج تعتمد على ثروتها لتفادي الثورة، وقد استفاد قطاع كبير من السكّان من هذه التقديمات، ولكن اقتصادات دول مجلس التعاون الخليجي تعاني، بحسب شحادة، من مشاكل بنيوية، وبالتالي لن تنجح الحزم الاقتصادية القصيرة الأمد في علاجها كالقطاع العام المتضخم، وفرط الاعتماد على العمالة الوافدة، والبطالة المزمنة، وبخاصة بين الشباب. ويرى شحادة بأن دول الخليج بحاجة إلى سياسات مستدامة تهدف إلى تحقيق التنوع الاقتصادي المطلوب بشدة. وفي غياب التغيرات البنيوية العميقة، من المرجح أن تتآكل مستويات المعيشة المُرضية التي تدعم الاستقرار السياسي في دول الخليج الآن.

الاستثنائية الملكية من التغيير الديمقراطي غير دقيقة، فمعظم الجمهوريات بما في ذلك مصر والعراق وليبيا كانت ملكيات وأطيح بها لصالح أنظمة جمهورية

يُعَد القطاع العام رب العمل الأكبر بالنسبة لمواطني دول مجلس التعاون الخليجي: ففي المملكة السعودية، توظف الحكومة ٨٠ في المئة من قوة العمل الوطنية؛ وفي الكويت ترتفع النسبة إلى ٩٣ في المئة. وتخصص الحكومة السعودية نحو ٤٥ في المئة من موازنتها لرواتب موظفي القطاع العام.

وفي العام المقبل (٢٠١٣) سترتفع رواتب الموظفين الاتحاديين في الإمارات بنسبة ٣٠ في المئة إلى ١٠٠ في المئة، فيما من المقرر أن ترتفع أجور الموظفين القطريين بنسبة ٦٠ في المئة إلى ١٢٠ في المئة. ولكن ليس من المؤكد ما إذا كان هذا الإنفاق الإضافي سينساب إلى الأسفل إلى بقية قطاعات الاقتصاد. بل من غير المرجح أن تستفيد الشركات المحلية على الإطلاق، لأن أغلب السلع الاستهلاكية مستوردة.غير ان مؤشرات التحول في دول مجلس التعاون الخليجي تتراوح بين (محدود) إلى (محدود للغاية)، ويرجع هذا بشكل كبير إلى الفساد والافتقار إلى الشفافية.

وفي رؤية منهجية عميقة، يرى شحادة بأنه إذا كان زعماء الخليج جادين بشأن تجنب الاضطرابات الاجتماعية، فيتعين عليهم أن يستفيدوا من المكاسب التي تتيحها أسعار النفط المرتفعة اليوم في تمويل إصلاحات سوق العمل والملكية الفكرية، وبالتالي تشجيع نمو القطاع الخاص وتوفير فرص أعظم للجميع، وتشجيع عملية الاصلاح السياسي المتوقفة حالياً.

وفي مقالة للباحث جين كينينمونت من تشاتام هاوس في ٣٠ أكتوبر الماضي بعنوان (دول الخليج في مواجهة ضرورات الربيع العربي) أن ثمة اختباراً لصانعي القرار في الغرب بهدف السيطرة على الشرق الأوسط المتنوّع سياسياً، فهم بإعلانهم

تأييد لأشكال حكومات أكثر ديمقراطية في مصر وتونس وليبيا واليمن وسوريا، يتمسّكون بإلحاح بالتحالفات التقليدية مع الحكومات غير الحريصة مطلقاً على التغيير الديمقراطي. ويناقش الباحث نظرية الاستثنائية الملكية على اعتبار أن الأنظمة الملكية العربية أكثر استجابة للتحديات السياسية من نظيراتها الجمهورية. ويعرض لفكرة رائجة منذ الربيع العربي مفادها أن الأنظمة الملكية العربية في الخليج والأردن والمغرب هي أكثر قابلية للبقاء على قيد الحياة، استنادا إلى الملاحظة بأن القادة الجمهوريين هم الوحيدون الذين أطيح بهم حتى الآن. ولكن كينينمونت رغم إقرار بصحة نسبية لهذه الفكرة، ولكن يعتقد بأنها نظرة قصيرة الأمد كونها تتجاهل حقيقة أن معظم الجمهوريات – بما في ذلك مصر والعراق وليبيا، التي رأت حكامها الوراثيين قد أطيح بهم بانقلابات عام ١٩٥٠ و ١٩٦٠ – كانت ملكيات في يوم من الأيام أيضاً. ويبدو أنه من المرجح أن ملكيات اليوم قد بقيت في مكانها لأنها مرنة، وليس كونها مرنة لأنها ملكيات.

وينظر كينينمونت لفهم هذه المرونة الى عوامل عدّة في تحليل الظاهرة ومنها: ولاء القوات المسلحة؛ فعالية المعارضة، والدعم الذي تتلقاه من القوى الكبرى. ويسوق الباحث مثالاً على ذلك حيث أن هذه العوامل تساعد على تفسير السبب في أن بعض الحكومات الجمهورية، مثل الجزائر، قد قامت على احتواء ضغوط الاحتجاج حتى اليوم.

يرى كينينمونت بأن نظرية الاستثنائية الملكية قد تحجب اختلافات كبيرة بين الأنظمة الحاكمة في الدول العربية الثماني التي تتمتع بها والمبالغة في الخلافات مع الأنظمة الجمهورية. ويناقش الباحث فكرتين يتم تقديمها لصالح صمود النظام الملكي. الأول، إنها تتمتع بشرعية تفوق شرعية أكثر الجمهوريات المشكلة حديثاً، بأساليب تشاورها (الملكيات) المعترف بها وطرقها في بناء توافق الآراء، وخاصة في المملكة السعودية والمغرب ، التي تدعي الشرعية الدينية. ثانياً، إن الأنظمة الملكية مجهزة جيداً للتكيف والإصلاح، ولديها نماذج أوروبية لتتبعها حيث الحكام قد تنازلوا عن السلطة تدريجياً مع الحفاظ على مكانتهم وكرامتهم كرموز وطنية.

ولكن الباحث لا يقبل مثل هذه الأفكار على علاّتها، فهو مثلاً يرى ثمة مشكلة مع الفكرة الأولى وهي أن مفاهيم الشرعية الملكية يصعب تقييمها في السياقات السياسية التي تفتقر إلى استطلاعات رأي يعتد بها أو صحافة حرة، والتي عادة ما تكون ضد قوانين (إهانة الحاكم). ويشرح ذلك بأن (أي ادعاء بأن الصحوة العربية قد تغاضت عن الملكيات غير دقيق. وهذا يعني، أنه سيكون من الخطأ أيضاً افتراض أن جميع الذين يعيشون في ظل حكومات غير ديمقراطية بالضرورة يرون أنفسهم مضطهدين).

إرث التقاليد لا يشكل ضمانة بأن الملوك في مأمن إلى الأبد، فواحدة من دروس الربيع العربي تقول بأن الرد القاسي ضد الاحتجاجات يؤول الى تصاعدها

ويستعرض كينينمونت لعامل المعارضة في الملكيات العربية، فهناك كما يرى نشاط للمعارضة في جميع الممالك العربية، ولكن بدرجات متفاوتة (نواب المعارضة فازوا بـ ٧٠ بالمئة من المقاعد في الانتخابات البرلمانية الكويتية عام ٢٠١٢، و ٤٥ بالمئة من الأصوات في انتخابات عام ٢٠١٠ في البحرين. المعارضة البحرينية الرئيسية تقاطع اليوم البرلمان بسبب هشاشته، وهكذا تفعل الحركات الإسلامية في الأردن والمغرب، حيث الاسلاميون الأكثر ميلاً للمصالحة، ومع ذلك، قد حصلوا على أكثر من ربع المقاعد في عام ٢٠١١).

وبصورة إجمالية، فمنذ بداية عام ٢٠١١، حسب الباحث، فإن ست ملكيات من أصل ثماني شهدت احتجاجات. وكانت أكثر وضوحاً في البحرين ولكنها ساهمت أيضاً في التعديلات الدستورية في الأردن والمغرب وعمان، فضلا عن حل مجلس الوزراء في الكويت. وعلاوة على ذلك، حوكم ناشطون وكتاب ومدونون وسجنوا لـ (إهانة) أو (تشويه سمعة) الحكومات أو الحكّام في البحرين، والسعودية، والإمارات العربية المتحدة، والكويت ومؤخراً سلطنة عمان .

ويستدرك الباحث كينينمونت بأن الاحتجاجات لم تكن بالضرورة تستهدف إسقاط النظام، فمعظمها لم يكن موجهاً ضد نظام الحكم الملكي (باستثناء ما يجري في الاردن حالياً). وأن النشطاء البراغماتيين يسعون لعملية إصلاح سياسي في ظل الحكام الحاليين، من خلال الدعوة لملكية دستورية حقيقية حيث تكون سلطات الحاكم محصورة ببرلمان أقوى وقضاء مستقل أو حكومة منتخبة.

ويؤكّد الباحث بأن إرث التقاليد لا يشكل ضمانة بأن الملوك هم في مأمن إلى الأبد (فواحدة من الدروس المستفادة من الصحوة العربية هو أن الرد القاسي للدولة في التعامل مع الاحتجاجات يمكن أن يؤدي إلى تصعيد في مطالب المحتجين)، وهو ما لاتريد السعودية والبحرين والكويت استيعابه، في ظل هيبة أمنية متصدّعة.

ينتقل كينينمونت بعد ذلك لمناقشة الفكرة الثانية، وهو امتلاك الأنظمة الملكية لخيار تقاسم السلطة. ويرى الباحث بأن هذا الخيار شديد الاهمية، بل إن فكرة أن تكون لدى الانظمة الملكية مجموعة من الخيارات لتطوير أنظمتها السياسية تدريجية وليس ثورية تعتبر جوهرية. ولا يعني ذلك أن تنبقى هذه الأنظمة على قيد الحياة الى الأبد وبصورة حتمية. وإنما يتوقف بقائهم على الأفعال والتكيّف مع الإصلاحات، وكذلك استيعاب تطلعات الشباب الذين باتوا يعون تماماً حقوق المواطنة العالمية وسريعي النمو بشكل متزايد ولبناء النماذج الاقتصادية المستدامة. ويخلص كينينمونت الى أنه ينبغي لنظرية الملكية الاستثنائية أن تكون حافزا للإصلاح، وليس ذريعة للتهاون.

تويتر يمنح السعودية ثورتها؟

كتب روبرت וورث مقالاً من الرياض في ٢٠ أكتوبر الماضي يقول فيه: لم يكن لدى السعودية ربيع عربي. ولكن لديها ثورة من نوع آخر. فالنقد المفتح للعائلة المالكة في البلاد، وهو أمر لم يكن مسموعاً في وقت ما، قد أصبح شائعاً في الشهور الأخيرة. يصدر قضاة ومحامون بـارزون تشنيعات عامة صارمة حول فساد الحكومة على نطاق واسع والتجاهل الاجتماعي. تهكم النساء من رجال الدين الذين يحدّون من حرياتهن. وحتى الملك بات تحت الهجوم.

هذه الاحتجاجات تجري في المنبر نفسه: تويتر.

وبخلاف وسائل الإعلام الأخرى، فإن تويتر سمح للسعوديين لاختراق الحدود الاجتماعية وعرض الموضوعات الدقيقة بصورة جماعية وفي الوقت الحقيقي، عبر مناشيتات رئيسية لموضوعات مشتركة (الفساد السعودي)، و(السجناء السياسيين)، المعروفة في تويتر بـ (هاشتاقات).

مع وجود العديد من الناس يكتبون غالباً بأسمائهم الحقيقية - هناك نحو ٢,٩ مليون مستخدم في المملكة، بحسب دراسة حديثة، وهي أسرع نطاق تويتر نموّاً في العالم، وفيما يبدو فإن السلطات استسلمت لهذا الواقع.

يقول المحامي فيصل عبد الله، ٣١ عاماً، (تويتر بالنسبة لنا مثل برلمان، ولكنّه ليس من نوع البرلمان القائم في المنطقة. إنه برلمان حقيقي، حيث يلتقي الناس من كل الاتجاهات السياسية ويتحدثون بحرية).

أما أن يؤدي هذا الحديث الى تغيير حقيقي فمن الصعب قول ذلك. يرى بعض المشككين بأن تسامح الحكومة غير المتوّقع بأنه خطّة مقصودة لتنفيس احتقان الناس، ولا يختلف كثيراً عن مليارات الدولارات التي أنفقتها الحكةمة على برامج الرفاه الاجتماعي العام الماضي عشية الانتفاضات العربية: أي شيء لاخماد الثورة الحقيقية. في بلد حيث التسلية العامة وحياة الشرع، دع عنك الاحتجاجات، بالكاد تكون موجودة، فإن قلّة من الناس يختلطون ويندمجون خارج عوائلهم، فإن التواصل الاجتماعي يعبيء حاجة ملّحة.

يبقى، أن رفع التابوات المفاجيء عن النقد العام كان لافتاً بحد ذاته. وقد تم الكشف، من بين أشياء أخرى، عن عمق صادم للغضب من العائلة المالكة بما أدى الى اختراق الفضاء السياسي وقاد بعض السعوديين للتساؤل الى متى سيبقى هذا المجتمع المحافظ البقاء دون إصلاح جاد.

(تويتر كشف عن إحباط كبير ورفض شعبي للوضع الجاري)، كما يقول سلمان العودة، رجل الدين البارز، الذي اعتقل عدّة سنوات في التسعينيات بسبب هجوماته على الحكومة وينظر اليه على أنه معتدل. لديه أكثر من ١,٦ مليون متابع على تويتر.

وأضاف: (هناك فجوة كبيرة بين الحاكم والمحكوم)، واستطرد الشيخ قائلا: (حتى أولئك المسئولين عن الأمن لا يعرفون ما يفكر فيه الناس حقا، وهذا ليس جيدا).

أن أشد الانتقادات حدة للعائلة المالكة صدرت من شخص واحد غامض يدعى Mujtahidd (مجتهد). وأضاف أنه ابتداء من أواخر العام الماضي، نشر (مجتهد) على موقعه في التويتر (يتابعه أكثر من ٦٠٠ ألف)، الاتهامات المثيرة والغنية بالتفاصيل عن صفقات الأسلحة الفاسدة وما يجري بين الأطراف المؤثرة في الحكم داخل الغرف المغلقة، وبينهم أمراء بارزون في العائلة المالكة، بمن فيهم الملك عبد الله.

وقد كتب مجتهد في مطلع هذا العام الى الأمير عبد العزيز بن فهد، وهو من أهدافه المفضّلة (هل صحيح أن بيتك في جدة كلّف مليار دولار ولكنّك كلّفت الدولة ٦ مليار واحتفظت الباقي في جيبك؟). وليس هناك من سبيل للتأكد من صحة هذه المزاعم، ولكن العائلة المالكة من الواضح تحمله على محمل الجد، وتكتب استنكارات شديدة اللهجة.

يقال بأن العائل المالكة بذلت جهوداً مضنية لمعرفة هوية مجتهد، ولكن دون جدوى. وقد أشيع على نطاق واسع بأنه عضو مقرّب من العائلة المالكة، أو شخص يعتمد في معلومات على مصادر داخلية.

في الوقت الراهن، يظهر مجتهد بأنه شجّع كثيراً من السعوديين على النقد.

عطلة اليوم الوطني السنوية الشهر الماضي، على سبيل الماثل، أثارت موجة نقد. وقبل يوم من العطلة، أصدر وزير الداخلية، السابق، الأمير احمد بن عبد العزين، تصريحاً لفت فيه الى (أننا نعيش في بحبوحة اقتصادية). وقد أريد لهذا التصريح أن يكون وطنيّاً. (نلفت هنا الى أن الكاتب كما يبدو خلط بين الأمير سلمان بن عبد العزيز، صاحب التصريح الشهير حول البحبوحة الاقتصادية، والأمير احمد بن عبد العزيز، وزير الداخلية السابق).

ولكن على تويتر، قال كثير من السعوديين بأنهم رأوا في (أننا) الأمير كإحالة غرور الى العائلة المالكة،

وليس الشعب. الوزير، الغاضب، قدّم دفاعاً. واستدرج تصريحه المزيد من الاستنكارات الغاضبة، بما في ذلك الاستنكار التالي: تذكّر بأنه ليس لدينا ضمان صحي، ولا وظائف. (الأمير سلمان بن عبد العزيز، ولي العهد، يمتلك مليارات الدولارات، ولا ينسى الأراضي المشبّكة الخاصة بالعائلة المالكة).

مشاعر التمرد البادية على تويتر تظهر وكأنها تركت تأثيرها على الاعلام التقليدي، حيث كتّاب الأعمدة وضيوف برامج الحوار أصبحوا أكثر جرأة في نقدالحكومة. ولكن لا يزال تويتر يقود النقاش العام.

الاصوات الجديدة ليست مقتصرة على نداءات الاصلاح الليبرالي على الطراز الغربي. إن أكبر عدد من الاتباع لا يزال من نصيب العلماء. محمد العريفي، رجل الدين المحافظ، لديه أكثر من ٢,٧ مليون متابع، متفوقاً على معظم المناصرين لحقوق المرأة، على سبيل المثال، وأعضاء في العائلة المالكة.

في مطلع هذا العام، حين كتب شاعر سعودي شاب وكاتب عمود يدعى حمزة كشغري، ثلاث تغريدات بدا وكأنه ينتقد النبي محمد، فإن فضاء توتير السعودي كان مليئاً بنداءات باعتقاله ومحاكمته، فيما طالب ليبراليون غربيون بالعفو عنه. لقد جرى ترحيله الى السعودية وإرجاعه من ماليزيا، ومازال في السجن بتهمة الزندقة.

النقد الديني كما يبدو هو خط أحمر بالنسبة لكل السعوديين تقريباً. وعقب الخلاف الشهر الماضي حول شريط فيديو ضد الاسلام، تم عمل هاشتاق على تويتر بعنوان (الا رسول الله).

وليس لدى الحكومة سياسة وضع اليد. مسؤولو وزارة الداخلية حاضرون في مجال تويتر، ودائماً تحت أسماء مزوّرة، يشنّعون على منتقدي الحكومة، ويصدرون تصريحات في الولاء للملك والبلاد.

وكانت هناك أيضاً جهود قليلة لضبط النقد، بما في ذلك أمر ملكي صدر في يوليو الماضي يمنع القضاة من الكتابة على تويتر.

الأمر الملكي كانت نتيجة شهور من الهجوم اللفظي الحاجد من قبل القضاة ضد إدارة القطاع القضائي. وفي سبتمبر الماضي، استقال ٤٥ قاضياً، في سياق موقف احتجاجي. ويقول عبد العزيز القاسم، محامي بارز في الرياض، (هناك ثورة في الدوائر القضائية).

ولكن يبقى تويتر مشهداً بارزاً من مساحات المجتمع السعودي الذي كان حتى وقت قريب مغلقاً على الأجانب. إن قضية المعتقلين السياسيين، على سبيل المثال، وهو موضوع يفهم عادى على أنه يشمل المناصرين للملكية الدستورية والاسلاميين المعارضين للحكومة على أرضية دينية، ويستقطب مجالاً واسعاً من التعاطف.

في مساء ما، السيد عبد الله، المحامي، جلس في مقهى في شارع التحلية بالرياض وفتح غطاء المحمول (اللابتوب) ليقوم بعرض قائمة متنوعة من التغريدات النقدية. واحدة منها (مذكرة السجن العام) وهي من قبل سجن قام بإرسالها من جهازه الخليوي الذي يتم تهريبه احياناً الى زنزانته. ولديه ٨٥,٠٠٠ متابع. الرسالة المثال: (إذا رأيت سجيناً نائماً، فلا تقم بإيقاضه. فربما يكون يحلم بالحرية).

في هاشتاق حول السينما، وهي غير قانونية في السعودية، يكشف بصورة حيوية مناظرة بين الليبراليين الذين يعارضون الحظر والمحافظين الذين يقولون بأن رفع الحظر سوف يؤدي الى إفساد الشباب.

يقول عبد الله (هذا يزيد من ثقافة الحقوق هنا. وهذا يلفت الانتباه. بالأمس، كتبت تغريدة حول نظام المحكمة، متهماً القضاة بالغرور. وزير القضاء استدعاني شخصياً للحديث حول ذلك. وعليه كما ترى، فإنهم يقرأون).

بحجة تبادل السجناء بين الرياض ولندن:

إطلاق سراح الأمير الشاذ والقاتل

ذكرت تقارير بريطانية في ١٣ نوفمبر أن السلطات البريطانية ستسمح للأمير الشاذ والقاتل والمسجون لديها الأمير سعود بن عبد العزيز بن ناصر آل سعود، والذي كان قد قام بقتل عشيقه بندر عبد الله عبد العزيز في لندن عام ٢٠١٠، ستسمح له بالعودة إلى السعودية مقابل تسليم النظام السعودي خمسة بريطانيين مسجونين في السعودية. ويعتقد المراقبون أن ما تمّ يعني في نهاية المطاف: إطلاق سراح الأمير السعودي بمجرد ان يصل الى الرياض. ولا يبدو أن السلطات البريطانية جاهلة بحقيقة ان الأمير السعودي القاتل سيفرج عنه، بل ان هناك ما يشي بحقيقة ان بريطانيا باعت ال سعود ابنهم القاتل، ما أدى الى تسهيل صفقة التسلّح الأخيرة التي وقعها كاميرون في الرياض هذا الشهر، دون ان يكشف عن خباياها. خاصة وأن زيارة كاميرون جاءت مباشرة بعد زيارة هولاند، الرئيس الفرنسي.


الأمير القاتل



آل سعود يجرفون التاريخ الاسلامي

النظام السعودي يبني مسجداً ضخماً يستوعب ١,٦ مليون شخصاً، ولكن في المقابل يقوم بتدمير آثار لا يمكن تعويضها

هيثم الخياط

كتب جيروم تايلور في ٢٦ أكتوبر الماضي بأن ثلاثة من أقدم المساجد في العالم سوف يتم تدميرها عمّا قريب حيث تشرع السعودية في مشروع توسعة بمليارات الدولارات في ثاني أقدس مكان في الاسلام. العمل على المسجد النبوي في المدينة، حيث دفن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، سوف يبدأ مع نهاية الحج لهذا العام. ومع الانتهاء، فإن التوسعة سوف تحيل المسجد الى أكبر مبنى في العالم، بطاقة استيعابية تصل الى ١,٦ مليون مصلي.

ولكن القلق تصاعد حيث أن التوسعة سوف تشهد تجريف مواقف تاريخية رئيسية. الغضب قد تصاعد حيال ازدراء المملكة الواضح إزاء حفظ الميراث التاريخي والأثري لأقدس مدينة في البلاد، أي مكة. وإن معظم التوسعة للمسجد النبوي سوف تتم في الغرب من المسجد القائم، والذي يضم قبور مؤسس الاسلام وإثنين من أقرب أصحابه، أبو بكر وعمر.

والى خارج الجدران الغربية من المجمّع الحالي هناك المساجد المكرّسة لأبي بكر وعمر، وكذلك مسجد الغمامة، الذي بني ليشير الى الموقع الذي يعتقد بأن النبي أقام فيه أول صلاة العيد. وقد أعلن السعوديون بأن ليس لديهم خططاً للحفاظ أو تحريك المساجد الثلاثة، والتي بقيت قائمة منذ القرن السابع (القرن الأول الهجري)، وتغطيها هياكل العصر العثماني، أو تطلب بحفريات أركيولوجية قبل هدمها، وهو أمر تسبب في قلق كبير بين القلة من الاكاديميين الذين هم على استعداد للحديث بصراحة في مملكة تسلطية بدرجة عميقة.

يقول الدكتور عرفان علوي من مؤسسة أبحاث التراث الاسلامي: (لا أحد ينكر بأن المدينة في حاجة الى التوسعة، ولكنها الطريق الذي تسير فيه السلطات هو ما يثير القلق). ويضيف: (هناك طرق تمكّنهم من التوسع والتي يمكن بها إما تفادي أو حفظ المدن الاسلامية القديمة، ولكن بدلاً من ذلك يريدوا تدميرها جميعاً). وقد أمضى الدكتور علوي أكثر من عشر سنوات في محاولة لتسليط الضوء على تدمير المدن الاسلامية القديمة.

مع سفر جوي رخيص وطفرة الطبقات الوسطى في بلدان مسلمة مكتظة بالسكان في العالم النامي، فإن مكة والمدينة تناضلان من أجل استيعاب ١٢ مليون حاج ومعتمر كل عام ـ وهو رقم يتوقع أن يرتفع الى ١٧ مليون شخص بنهاية ٢٠٢٥. تنظر العائلة المالكة الى نفسها باعتبارها السلطة الوحيدة التي تقرر ما يجب أن يحدث في مهد الاسلام.

وبالرغم من تخصيصها مليارات الدولارات لتوسعة هائلة لكل من مكة والمدينة، فإنها ترى أيضاً بأن المدن المقدّسة مثمرة لبلاد تعتمد بصورة شبه كاملة على الثورة النفطية المحدودة.

الناشطون في حملة حماية التراث وكذلك كثير من السكّان المحليين ينظرون بدهشة وصدمة حيث أن أقساماً تاريخية لمكة والمدينة قد تمّ تجريفها لتمهيد السبيل لمراكز تجارية، وفنادق فارهة، وناطحات سحاب هائلة. معهد الخليج ومقرّه في واشنطن يقدّر بأن ٩٥ بالمئة من المباني التي يصل عمرها الى ١٠٠٠ عام في المدينتين المقدّستين قد تمّ تدميرها في العشرين سنة الماضية.

في مكة، المسجد الحرام، أقدس مكان في الاسلام والمكان الذي يفترض أن يكون فيه المسلمون جميعاً متساويين، ينخفض شأناً بواسطة مجمع جبل عمر، وبرنامج توسعة لشقق من ناطحات سحاب، وفنادق وبرج الساعة. لبناء ذلك، فإن السلطات السعودية دمّرت قلعة أجياد التي تعود للعصر العثماني، وكذلك التل الذي تقف عليه.

مواقع تاريخية أخرى فقدت وتشمل مكان ميلاد النبي ـ وهو الآن مكتبة ـ وبيت زوجته الاولى، خديمة، والذي تم استبدالها بمرافق عامة.

لم تقم السفارة السعودية في لندن ولا وزارة الشؤون الخارجية بالرد على طلبات التعليق حيث اتصلت صحيفة (ذي اندبندنت) بهما. ولكن الحكومة دافعت في السابق عن خطط التوسعة في المدينتين المقدّستين باعتبارها ضرورية. وتصرّ الحكومة على أنها أيضاً قامت ببناء عدد كبير من الفنادق الرخيصة بالنسبة للحجاج الفقراء، رغم أن الناقدين يشيرون الى أن هؤلاء يتم وضعهم عادة في أماكن تبعد أميالا عدة عن الأماكن المقدسة.

وحتى وقت قريب، فإن إعادة التوسعة في المدينة قد ضغطت باتجاه أقل بقليل عند مستوى من الفوضى أكثر من مكة، بالرغم من أن عدداً من المواقع الاسلامية القديمة قد تلاشت تماماً. ومن بين المساجد السبعة القديمة التي بنيت لتخليد ذكرى معركة الخندق ـ وهي حادثة رئيسية في تطوّر الاسلام ـ بقي منها إثنان فحسب. عشر سنوات خلت، هناك مسجد يعود الى حفيد النبي تم تدميره بالديناميت. صور التدمير التي التقطت بصورة سرية وتم تهريبها خارج المملكة تكشف أن الشرطة الدينية كانت تحتفل فيما كان المبنى ينهار.

عدم احترام وازدراء التاريخ المبكر للإسلام جرى تفسيره جزئياً من قبل تبني النظام للوهابية، وهو التفسير الصارم وغير التوافقي للإسلام الذي يعارض بشدة كل شيء يمكن أن يدفع المسلمين باتجاه عبادة الاصنام.

ينظر الاهالي في مكة والمدينة بدهشة وصدمة حيث أن أقساماً تاريخية لهاتين المدينتين قد تمّ تجريفها لصالح الأسواق والفنادق وناطحات السحاب

هناك أضرحة بنيت في معظم العالم الاسلامي. وإن زيارة القبور باتت أيضاً عادة شائعة. ولكن الوهابية تنظر الى مثل هذه الممارسات بازدراء. وتمضي الشرطة الدينية الى حدود قصوى في منع الناس من الصلاة أو حتى زيارة الاماكن القريبة من زمان النبي بينما يعمل العلماء الأقوياء خلف المشهد للدعوة الى تدمير المواقع التاريخية.

يخشى الدكتور علوي من أن توسعة المسجد النبوي هو جزء من عملية واسعة لنقل الأضواء بعيداً من المكان الذي دفن فيه النبي محمد. الموقع الذي يشير الى قبر النبي يغطي بقبة خضراء مشهورة ويشكل الحجر المركزي للمسجد الحالي. ولكن تحت الخطط الجديد، سوف يصبح الجناح الشرقي من البناء ثمانية أضعاف حجمه الحالي مع منبر جديد. وهناك أيضاً خطط لتدمير مكان الصلاة في وسط المسجد. وأن المساحة التي تشكل جزءاً من رياض الجنة، وهو قسم من المسجد الذي اعتبره النبي مقدّساً بصورة خاصة. يقول الدكتور علوي (مبررهم هو أنهم يريديون عمل مساحة وخلق ٢٠ رواقا في المسجد والتي سوف تستوعب في نهاية المطاف ١,٦ مليون). يضيف (لا معنى لذلك، فما يريدونه بالفعل هو إزاحة الاضواء بعيداً عن المكان الذي دفن فيه النبي).

في نشرة طبعت سنة ٢٠٠٧ من قبل وزارة الشؤون الاسلامية ـ وتمّ تأييدها من قبل المفتي العام للسعودية، عبد العزيز آل الشيخ، دعا فيها الى إزالة القبّة وتسوية قبور النبي محمد، وابي بكر، وعمر. الشيخ ابن عثيمين، وهو واحد من أكثر علماء الوهابية كتابة، قدّم مطالبات مماثلة.

يقول الدكتور علوي (صمت المسلم حيال تدمير مكة والمدينة هو كارثي ونفاقي). ويضيف (إن الفيلم حول النبي محمد الذي تسبب مؤخراً في احتجاجات واسعة حول العالم..وتدمير مكان مولد النبي، حيث أقام فيه الصلاة وأسس الاسلام قد سمح بتواصلهما دون أي نقد).

نلفت هنا الى أن علماء الأزهر الشريف في القاهرة أصدروا بياناً في ٣٠ أكتوبر الماضي أكّدوا فيه معارضتهم بشدة للمساس بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم. وأكّد منصور مندور أحد علماء الأزهر أن الآثار والمعالم الإسلامية ليست ملكاً لأحد، ولا يمكن إزالة أو تخريب أو المساس بأي معلم أو أثر يهم المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، وأن الأزهر وعلمائه لن يسمحوا لأحد بالمساس بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقال مندور في تصريح إعلامي إن التطوير في المدن الإسلامية مطلوب، لكن دون إعتداء على معلم أو أثر يهم الأمة الإسلامية، لأن الآثار والمعالم الإسلامية ليست ملكا لأحد، وإنما هي ملك للمسلمين جميعاً، ولذلك فيجب قبل إحداث أي تطوير الرجوع الى المجامع الإسلامية والفقهاء والعلماء لتحديد ما إذا كان هذا التطوير مطلوبا أم أنه يضر في جانب آخر.

وأضاف: لابد من أخذ رأي أهل الخبرة وأهل الذكر في هذا الباب حتى يكون التطوير ملائما للمصلحة العامة، نحن لا نمنع من التطور ولا من التطوير، وإنما نمنع من الإعتداء على أي ملعم أو أثر يهم جموع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها.

وتابع مندور: نحن يهمنا أن نرى تطورا أو أي شيء جميل في المدن الإسلامية، ولكن إذا كانت هناك نية لإزالة شيء ذا أهمية أو ذا ميزة لجموع المسلمين فنحن نرفض هذا الأمر.

وقال: لن يسمح لأحد أن ينال من آثار الرسول صلى الله عليه وسلم، الأزهر وعلماء الأزهر يقفون ضد أي مساس بآثار النبي صلى الله عليه وسلم، كالمسجد النبوي وجذع النخلة والإسطوانة التي كان يصلي إليها ومنبر التهجد وغيرها من الآثار المعروفة والموجودة، ولن يستطيع أحد أن يزيلها وستبقى خالدة لتذكر المسلمين بما كان عليه المسلمون وما وصلوا إليه.

التلاعب في أعداد الحجاج.. لمصلحة من؟

هناك من تعمّد في وزارة الداخلية بالتلاعب في أعداد القادمين للحج هذا العام، الى درجة أن بعض الخبراء والمشتغلين في شؤون الحج تفاجأوا بالأرقام المعلنة.

البعض ربط الزيادة المفتعلة بغياب الأمير نايف، الرئيس السابق للمجلس الأعلى لشؤون الحج، ووزير الداخلية المسؤول عن تنظيم الحج والذي غالباً ما يصدر تنويه من الملك له بنجاحه في إدارة حركة الحجاج منذ قدومهم وحتى مغادرتهم. السبب الآخر، أن هناك انخفاضاً في عدد الحجاج من دول اسلامية كبيرة مثل تركيا وايران وسورية وغيرها، إلى جانب الاجراءات التنظيمية التي اتخذتها الحكومة السعودية من بينها عدم السماح للحافلات بالقدوم الى منى وفرضت على الحجيج المشي على الاقدام في نزولهم الى وصعودهم من مكة للمبيت في مبنى، أو ثلثه.

وفيما تحدّثت المصادر الرسمية عن أن عدد الحجاج لهذا العام كان قياسياً، ولكن (معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج) أعلن عن وجود نقص في أعداد الحجاج في المشاعر المقدسة لهذا العام عن العام الماضي بقرابة ٢٠٠ ألف حاج، فيما أكدت مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات في إحصائها الأخير، زيادة أعداد الحجاج عن العام الماضي بـ ٢٣٣,٨٥٦ حاجاً، وأن أعداد الحجاج تضاعفت خلال الأعوام الخمسة الأخيرة بواقع ٨٤٨,٢٩٥ حاجاً.

وأوضح عميد المعهد الدمتور عبد العزيز سروجي لصحيفة (الحياة) أن عدد الحجاج لهذا العام أقل من عدد الحجاج للعام الماضي بقرابة ٢٠٠ ألف حاج. فيما أكد المدير العام لمصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات مهنا المهنا لـ (الحياة) أن عدد الحجاج ارتفع هذا العام بنسبة ثمانية في المئة ليسجل العدد الإجمالي ٣,٥٧٣,١٦١.

غير أن خبراء في شؤون الحج، ومصادر أهلية وثيقة الإطلاع على أعداد الحجاج ووفق معطيات عديدة، يفيدون بأن عدد الحجاج لهذا العام لم يتجاوز مليوني حاج، ويمكن للحاج أن يلحظ ذلك من معطيات كثيرة وهي مساحة انتشار الحجاج وكثافة حضورهم، ووجود فضاءات فارغة في المواقع التي يتواجد فيها الحجاج غالباً مثل عرفات. وإن الحديث عن أرقام كبيرة في الحج هو لأغراض سياسية بدرجة أساسية تخدم وزير الداخلية السابق، أحمد بن عبد العزيز، الذي لا يبدو أنها لم تحقق له ما كان يريد فخسرت الوزارة.

اللحيدان: لا زكاة على الأراضي الكبيرة!!

في فتوى غير مسبوقة لرئيس مجلس القضاء الأعلى السابق الشيخ صالح اللحيدان نشرت في ٢٢ أكتوبر الماضي، قال فيها بأن الأراضي الكبيرة جداً لا زكاة عليها، دون توضيح الأسباب، وقال بأن (لا قياس في ذلك مع الذهب). الفتوى صدرت على خلفية توصية لمجلس الشورى بدراسة إصدار فتوى تكلف مصلحة الزكاة والدخل بجباية الزكاة على نشاط تجارة الأراضي، نظراً لتنامي أزمة الإسكان وتضرر عدد كبير من المواطنين من جراء احتكار الأراضي.



اللحيدان: مفتي أمراء (التشبيك)!

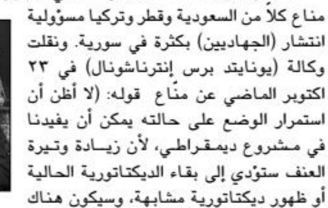
اللحيدان الذي ارتبط اسمه بقضايا خلافية بين كبار الأمراء حول أراضٍ شاسعة في المنطقة الغربية، بما في ذلك الديار المقدسة، حين كان يتولى مجلس القضاء الأعلى، أوصى بأن يؤخذ بتصنيفات ستة للأراضي عند الأفتاء بخصوص جباية زكاة الأراضي وتشمل: الأراضي التي لم تعرض للبيع أصلا، وإن كانت كبيرة فهذه لا زكاة عليها.

وقد أثارت فتوى اللحيدان ردود فعل واسعة حيث نظر اليها على أنها تندرج في سياق محاباة الهوامير الكبار، وخصوصاً الأمراء أو من باتوا يعرفون بـ (أمراء الشبوك) الذين يسيطرون على مساحات شاسعة جداً من البلاد، فيما قيل عن سيطرة أمراء آل سعود على ما يقرب من ٨٠ بالمئة من شواطىء المملكة في غربي البلاد وشرقها.

هيثم منّاع: السعودية وقطر وتركيا وراء دعم القاعدة

حمل رئيس هيئة التنسيق الوطنية في المهجر المعارض السوري هيثم مناع كلاً من السعودية وقطر وتركيا مسؤولية انتشار (الجهاديين) بكثرة في سورية. ونقلت وكالة (يونايتد برس إنترناشونال) في ٢٣ اكتوبر الماضي عن منّاع قوله: (لا أظن أن استمرار الوضع على حالته يمكن أن يفيدنا في مشروع ديمقراطي، لأن زيادة وتيرة العنف ستؤدي إلى بقاء الديكتاتورية الحالية أو ظهور ديكتاتورية مشابهة، وسيكون هناك تصعيد وتقسيم نفوذ، فريق قوي في هذه المنطقة وآخر ضعيف في منطقة أخرى). وانتقد المعارض السوري المعروف الدول الاقليمية لدعمها التطرف في سورية قائلا أن (المحور القطري ـ السعودي ـ التركي متواطئ حتى الآن.. ومسؤول عن دخول الجهاديين الى سورية) ، مؤكداً أن هذا المحور (يستطيع أن يوقف تدفقهم إن أراد، لكنني لم أر مسؤولاً عربياً واحداً يعتبر أن وجود هؤلاء يشكل خطراً، فيما يحاول الجميع التقليل من عددهم).





ضحايا السيول: ظاهرة سعودية

لا يبدو أن العائلة المالكة تكترث للأرواح البريئة التي تزهق بصورة دائمة في سيول متنقلة على امتداد هذا الوطن، فالفساد المتفشي في أرجاء جسد الدولة يتحول الى موت لمواطنين أبرياء فقدت الدولة أدنى إحساس بمعاناتهم، حتى صار مشهد ضحايا السيول مألوفاً. مدينة رابغ ودّعت بالأمس كوكبة من ضحايا السيول، بعد أن تأخّرت آليات الانقاذ، فانتهى الحال، كما يقول أهالي المدينة، بأننا (فقدنا أهالينا). يتذكّر المواطنون في مأساة رابغ ماجرى في جدة والرياض وحائل وغيرها، بل يعتبروها امتداداً لمأساة وطن، وفصلاً جديداً يشبه كارثة سيول جدة التي أصبحت رمزاً لفساد الدولة، ومثالاً عملياً على إهمالها.



مقيم سوداني يفضح عقود صيانة المساجد

نقل الناشط الحقوقي والزعيم القبلي مخلف بن دهام الشمري على صفحته في فيسبوك في ٢٤ اكتوبر الماضي خبراً خاصاً عن مقيم سوداني قال بأنه حلّفه أن لا يذكر إسمه أو إسم المؤسسة التي يعمل لصالحها، ونقل عنه قوله (أنا أعمل محاسباً في مؤسسه موقعه عقود صيانة المساجد وهذا أفضل مشروع يأخذه مقاول فليس به أية مصاريف. فقط تأخذ شيكات وكأنها منحة) فسأله الناشط الشمري عن كيفية ذلك، فأجابه: (نتقدّم للمناقصة لعدة مساجد، وفي العادة تكون من ١٠٠ فأكثر ونأخذ التأشيرات ونبيعها على طالبي العمل من دولة القدوم بشرط أن يكون مسلماً بمبلغ لايقل عن ١٠ آلاف ريال للتأشيرة. وعند الوصول، نلزمهم بالتوقيع لمدة العقد على استلام رواتبهم وعادة ما تكون ثلاث سنوات ثم نقوم بتوزيعهم على المساجد، فيسكنون بغرفة المسجد المخصصة ونقول للعامل دبر نفسك مع المؤذّن والامام والجيران وتنتهي مسئوليتنا وهم يتحمّلون مصاريف رسوم الإقامة والعمل حتى أدوات ومواد النظافه كثيراً ما يحضرها الجيران للمسجد أو فاعل خير) ويخلص المقيم السوداني (أول مرة أشوف عندكم مشاريع بالسعوديه كل مستخلصاتها ربح بل تزيد بقيمة التأشيرات!!). وقد وضع الناشط الشمري هذه القصة برسم هيئة مكافحة الفساد.



أبن ملك الإنسانية: يستحمر الإنسان!

إسمه بدر بن عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، واختصاره بدر آل سعود، الجالس (كما في الصورة) على ظهر إنسان كيما يمارس هوايته في الألعاب الالكترونية. لم يفعل الأمير المدلل ذلك لقلة ذات اليد، ولا لأزمة كراسي ومفروشات في المملكة، ولكن تربية القصور واستحمار عباد الله جعلت هذا الأمير الطفل يتصرف بلا إنسانية مع نظيره في الخلق، اعتقاداً منه بأن الناس عبيد له. والمصيبة، أن الأمير بدر وضع الصورة بنفسه في صفحته الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي، ما يعني أنه لا يرى في ذلك ضيراً، وكأن الأمر اعتيادي



أن يركب ظهر المواطن!

هو ابن ملك الإنسانية، كما يحلو لبعض المتزّلفين أن ينعتوه، ولن يسرّهم منظر هذا الأمير الوقح وهو يعكس واقعاً في القصر والعائلة المالكة وليس تصرفاً فردياً، فلو تعلم احترام شركائه في الإنسانية لم يقدم على مثل هذا التصرّف القبيح الذي أعاد التذكير بأوضاع الخمسينيات، حين كان لا يزال سوق الرقيق رائجاً، الى أن طلب الرئيس الأميركي سنة ١٩٦١ من الملك فيصل بإنهاء ظاهرة الرق. أحدهم علّق على الصورة متهكماً بأنها تعبر عن (تلاحم القياده والشعب). آخر قال: أحسنوا الظن به (فهو يريد تطبيق الحديث: علموا اولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل؛ لكنه قرأ آخر كلمة خطأ!).

الموظف في أرقام

حين يتأمل المواطنون أحوالهم، لا تشغلهم أعدادهم، ولا أعداد الجند والحرس، ولا كمية العتاد المكدّسة في مخازن الجيش والحرس الوطني، ولا نوع الطائرات الحربية والمدنية وأعدادها وأحجامها، ولا حتى مساحة البلاد، أو عدد براميل النفط المصدّرة الى الاسواق العالمية..

ما يشغل المواطنين، الموظفين منهم حصراً، هو حجم الديون المترتبة عليهم، ومستوى الفقر، والبطالة، وارتفاع الاسعار. أحدهم لخص معاناة المواطنين في أرقام فخلص الى الآتي: ٩٢٪ من الموظفين مقترضون و ٨٠٪ مستأجرون، وأن القروض تستهلك ٣٣٪ من الدخل الشهري فيما يستهلك الإيجار ٣٨٪ من البقية، وبالتالي فإن المواطن (الموظف طبعاً) يعيش على ٢٩٪ من دخله، قبل التضخم.

الأردن يدفع ثمن رفض الانخراط في حرب سوريا

ضخّت الحكومة السعودية مليارَي دولار لدعم الاقتصاد الاردني على أمل أن يشارك الأردن بدرجة فاعلة في الحرب على النظام السوري، خصوصاً وأن الاردن فتح مساحة واسعة للسعودية عبر سفارتها في عمّان كيما تقود عمليات تهريب المال والسلاح والافراد الى الداخل السوري، وقدمت فرق أمنية يقودها بندر بن سلطان، رئيس الاستخبارات الحالي، كيما تدير عن قرب العمليات الامنية والعسكرية داخل سوريا.

وكان الملك الأردني قد صرّح في خطاب له في ٢٣ أكتوبر الماضي في عمّان بأن السعودية سدّدت عجز الموازنة الأردنية العامة لهذه السنة بعد توقف الغاز المصري عن الأردن. وتطرّق الملك عبد الله الثاني للأوضاع الحالية في بلاده وحمل على أولئك الذين يريدون إثارة الاضطرابات في بلاده. ولكن، على ما يبدو أن السعودية تراجعت في دعمها للنظام الأردني بعد رفضه الانخراط بدرجة أكبر في الملف السوري، حيث مازال ينأى بنفسه عن الانغماس بدرجة كبيرة في الأوضاع السورية لاعتقاد الأردن بأنه سيدفع ثمناً باهظاً في حال انفلات الاوضاع الامنية والسياسية في سورية. توقف الدعم السعودي عن الإقتصاد الأردني أدى الى انفجار الوضع السياسي والامني، وكانت المفاجأة بسقوط أكبر محرم سياسي حتى الأمس، وهو هيبة الملك، التي تلاشت بعد انطلاق شعارات في المظاهرات الاردنية تطالب بإسقاط النظام الملكي، وتصف الملك بـ (الأزعر)!

بائع الكلام: معجزة خالد الفيصل

بائع الكلام خالد الفيصل.. على خطى عمّه سلطان (أبو الكلام)!

مشكلة آل سعود أنهم ينافسون في مضمار ليس لهم فيه قصب سبق، ولا فضيلة، وهو الكلام، الذي فتقه الرجال الأكفياء، والعلماء، والشعراء والأدباء الحقيقيون وليس المصنّعين على عجل أو الوهميين، على طريقة الشاعر الكاذب عبد الله الفيصل، الذي كان يستكتب الشعراء بأمواله لينسب ما يكتبونه له زوراً وبهتاناً..



صحيح أن آل سعود إمتازوا على غيرهم في صفة الكذب، فقد فاقوا من سبق ومن لحق من بني آدم في فبركة ما لم يخطر على قلب بشر من أكاذيب، حتى باتت سمة راسخة في شخصية كل أمير يرجو الوصول الى العرش، فالطريق اليه معبّدة بالأكاذيب.. وخالد الفيصل، أمير منطقة مكة المكرمة، هو أحد من يتقن الكذب، وكل له طريقة خاصة فيها. فهو شريك رئيسي في كل مأساة وقعت في المنطقة الغربية بما في ذلك سيول جدة وحرائق مكة وغيرها.. يأتينا بعد ذلك ليتحدث في كلمة بمناسبة افتتاح (جامعة الأعمال والتكنولوجيا) بذهبان في ٢٢ أكتوبر الماضي عن معجزة من نوع آخر، بل وربيع من نوع آخر (فالمعجزة هي أنتم.. لأنكم سبقتم غيركم.. بأنكم بدأتم الربيع السعودي قبل الـ ٨٢ عاماً قبل الربيع العربي.. هذه هي المعجزة! المعجزة لأنكم تسبقون غيركم دائما، الى ما لا يفكر به الغير الا بعد عقود مضت..).

هل يعقل أن رجلاً يملك ذرة من عقل يتحدث بهذه اللغة البالية والهالكة، التي فقدت ليس قدرتها في التأثير بل وحتى التندر. أحدهم علّق على كلام خالد الفيصل بالقول: (متأكدين إن خالد الفيصل عايش معنا في كوكبنا.. إسمعوا وش يقووول..ولا الجريده الي مصدقه هالكلام).

مقبرة النصارى تضم رفاتهم.. و(بيت ساوا) في جدة

كشف المؤرخ الفرنسي فيليب بتريات أن عشرات الأروبيين عاشوا في جدة قبل أكثر من ١٣٠ عاماً، واندمجوا مع سكانها وأصبحوا لا يتحدثون إلا باللغة العربية بعد أن اشتغل معظمهم بالتجارة، موضحاً أن (بيت ساوا)، هو أول بيت تجاري أوروبي في تلك المدينة الحجازية العريقة.



وبيّن بتريات أن أكثر من ٣٠ تاجراً يونانياً أقاموا في جدة عام ١٨٧٠م، مشيراً إلى أن بينهم شخصاً كان يعمل خبازاً.. وأضاف: (في ١٨٩٠م وصل عدد سكان جدة إلى عشرين ألفاً، بينهم خمسون أوروبياً، وإذا مات أحدهم كان يدفن في مقبرة غير المسلمين التي تُسمى شعبياً مقبرة النصارى) مؤكداً أن بعض القسيسين كانوا يزورون المدينة من وقت لآخر، إلا أنه كان لايُسمح لغير المسلمين بتجاوز باب مكة.

المؤرخ الفرنسي ذكر أن مصادر دراسته أوروبية، وهي تشير إلى أن

مدينة جدة كانت تصدّر في تلك الحقبة الجلود، واللؤلؤ والتمور لمختلف أنحاء العالم، كما أنها كانت متميزة في تجارة (إعادة التصدير).

ذكاء محدود: وجود سيدة في الجلسة العلنية!

حين يعجز الاعلام الرسمي عن نقل ماهو حقيقي وجدير يقوم بتضخيم ضئيل الشأن، أو المهمل الذي لا يرى بالعين المجرّدة. فالكل يعلم بأن القضاء غير مستقل في هذا البلد، والكل يعلم بأن القضاء جائر، وأن التمثيل القانوني للمتهّمين في حدّه الأدنى حتى لا يكاد يذكر..والكل يعلم كذلك بأن جلسات المحاكمة تفتقر الى العلنية من بين أشياء كثيرة غائبة كحضور الاعلام، وأطراف محايدة تراقب سير المحاكمات..



ولكن في الاعلام الرسمي هناك من يحاول تصوير القضاء وكأنّه شهد طفرة نوعية تكاد تصل الى مستوى الانظمة القضائية في الدول الديمقراطية. نقرأ في تغطية صحيفة (الرياض) في ١١ نوفمبر لجلسة المحاكمة للناشطين الحقوقيين الدكتور عبد الله الحامد والدكتور محمد فهد القحطاني. في العنوان جاء (في جلسة "علنية" شهدها الإعلام وأكثر من ٤٠ شخصاً بينهم "سيدة") والتشديد على (العلنية) و(سيدة) لها دلالة معلومة وملغومة. ويكفي أن الخبر فضح تلك الشفافية المزعومة، فقد جاء في مقدمة الخبر (شهدت الجلسة "الخامسة" لمحاكمة الناشطين الاثنين (٦٥ سنة و٤٦ سنة) المتهمين بالسعي لزعزعة الأمن ونشر الفوضى ونزع الولاية والخروج على ولي الأمر والاشتراك في إنشاء جمعية حقوقية غير مرخصة لمناهضة سياسة الدولة والتواصل مع جهات دولية)..فهذا المقطع حمل من الإشارات ما يكفي للحكم على الخبر برمته. فقد رفضت الصحيفة ذكر أسماء (الاكاديميين الإثنين) واكتفت بذكر عمريهما، ثم جاءت الاتهامات لتبيّن طبيعة المحاكمة وموضوعها. فهل إنشاء جمعية حقوقية تعتبر تهمة في هذا الزمن؟! لو لم يكن هذا حال النظام السعودي الاستبدادي الذي حاولت الصحيفة تصويره على غير حقيقته من خلال تمرير كلمتي (علنية) و(سيدة).

عبد العزيز الدخيل: الفساد بلغ الجبال!

الخبير الاقتصادي عبد العزيز الدخيل، وصاحب كتاب (التنمية الاقتصادية في السعودية..قراءة نقدية) والذي طبع مؤخراً عن دار الساقي في بيروت، لديه مقاربات جريئة للأوضاع الاقتصادية في المملكة تستحق المتابعة. وفي مقالته المنشورة في صحيفة (الشرق) في ١٢ نوفمبر الجاري بعنوان (هيئة مكافحة الفساد وقمم الجبال) لفت الى أن النزاهة التي أنشأها الملك لمحاربة الفساد لم تحقق نجاحاً لأن (الفساد مستشرٍ في رؤوس الجبال وكهوفها). وقد عنى حقيقة المصطلح موضّحاً (قمم الجبال دون تورية واستعارة هم أولئك الذين وظفوا مواقعهم السياسية أو المالية للحصول على المال العام دون وجه حق، وهذا هو لب الفساد وجوهره، وهم اليوم يتحصنون خلف الستار السياسي أو الجاه المالي فلا تصل إليهم جنود النزاهة ويد العدالة). ويعتقد الدخيل بأن هيئة النزاهة تدرك تماماً هذه الحقيقة، كما يدركها المواطنون كبار وصغاراً نساءً ورجالاً. وإن ما يخشى منه الدخيل هو أن تساهم مؤسسة النزاهة (في حماية الفساد العظيم من حيث لا تدري)، ويوضّح ذلك (عندما يكون جل أنشطة وأجهزة وبرامج "نزاهة" المعلنة والواضحة موجهة إلى قضايا الفساد صغيرة الحجم.. بحيث توهم المواطنين بأن حجم الفساد الذي أقام الداعون لمحاربته الدنيا ولم يقعدوها هو محدود وليس منتشر فقط بين الموظفين الصغار، أما الفساد العظيم فقد منحتهم مؤسسة النزاهة بفعلها هذا درعاً واقياً، بحيث تصبح المؤسسة ضارة بالمجتمع أكثر من أن تنفعه (لأنها أصبحت عنوانا وواجهة أمام العالم وأمام المواطنين لمحاربة الفساد بينما هي لا تطارد إلا شيئاً من الفساد الذي لا يزال ينعم بالصحة والعافية).



هيئة مكافحة الفساد تحتاج الى مكافحة!

وقائع محاكمة: طريقة لفضح الظلم

أحد ضحايا السجون السعودية اختار أن يروي تفاصيل مظلوميته عبر هاشتاق على تويتر، لبيان الظلم الواقع عليه طيلة فترة اعتقاله، والاعلان عن تضامنه مع زملاء له لا يزالون يرزحون تحت الاعتقال في السجون السعودية.



باقة تغريدات متوالية تحت عنوان (المحاكمة) يكشف فيها المعتقل يوسف وقائع القضية التي سجن لأجلها. وقال بأن ما دفعه لكتابتها هو (لإبراز تواطؤ المحكمة في ظلم أبنائنا المسجونين على ذمة القضايا "الأمنية"، وكذبة استقلالية القضاء فيها). ونبّه في البداية الى أن جميع ما سيذكره من وقائع المحاكمة (إنما هو على سبيل الإخبار..لا الشكوى). وقال بأنه راض بما كتبه الله تعالى عليه، ومؤمنٌ بقضاء الله تعالى وقدره، ويحمد الله جَل وعلا أنْ أخرجه من السجن.

ثم راح يروي وقائع المحاكمة التي جرت له في ١٩ شعبان ١٤٢٧هـ في إحدى غرف المحكمة العامة (الكبرى)، وكان عبارة عن مكتب كبير يطل على مسجد الشيخ محمد ابن ابراهيم بوسط الديرة، بالرياض. وكان قد مضى على السجين آنذاك سنتين وأربعة أشهر.

دخل عليه ثلاثة قضاة، ثم دخل شخص وبيده حقيبة يدوية وجلس على كرسي واستخرج أوراقاً كثيرة، وعلم السجين بأنه المدعي العام. يقول السجين (ابتدأ المدعي العام في سَرْدِ التّهم الموجّهة إليّ و التي قرأها في [١١] أحد عشر صفحة..) ويضيف (لم يترك شيئاً إلا ذكره.. حتى إنّني شككتُ في نفسي أنني السبب في " ثقب الأوزون " و " مجاعة أفريقيا " و " الحرب العالمية الثانية" وأيضاً أنني المسؤول عن "حرائق كاليفورنيا" و" زلزال إيران"!!!). ويعلّق السجين: (ثم بدأ يسُوطني بقرارات هيئة كبار العلماء و قرارات المجمع الإسلامي !!! ثم طلب إيقاع العقوبة الشديدة عليّ بالتعزير! حتى ظننتُ أنه سيطلب إقامة حد الحرابة عليّ).

وبعد محاكمات وطعون في الاتهامات وغيرها حكم عليه بسنة سجن من تاريخ دخوله السجن، ولكن ولهوان الانسان على آل سعود، يقول يوسف (فلقد بقيت بعد الحكم أكثر من خمس سنوات!!) كما تم تغريمه بمبلغ أربعة

آلاف ريال (و العجيب أنّ المحكمة و الأمارة رفضوا إعطاء أهلي صورة من الحكم حسب النظام ، حتى قال رئيس القضاة لشقيقي أنّ هذه القضايا لا نحتفظ فيها بصور من الأحكام!!). ويختم يوسف سرد تفاصيل محاكمته بقوله (أمضيتُ ستة أضعاف الحكم الصادر بحقي و زيارة شهر!! و طوال هذه المدة لم أجد إجابة واحدة على اعتراضي!!). ويضيف (فلا حقوق إنسان وإدارة المباحث و لا وزارة الداخلية أجابوا أهلي وأجابوني على سؤالي: لماذا لم أخرج بعد الحكم عليّ؟).

أبو الشبوك مشعل: شتلات للفسح


برقية خطية عاجلة جداً

معالي الدكتور / فهد بن عبد الرحمن بن سليمان بلغنيم حفظه الله
وزير الزراعة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد :-

نفيد معاليكم بأنه تم إحضار ٦٤٠ شتلة أشجار زيتون وحمضيات وأشجار زينة من لبنان والمشتراه من مؤسسة أرض الفن وذلك لزوم قصرنا الجديد بالرياض وهي موجود حاليا بمنفذ الحديثة من يوم الخميس ٢٣ ذو الحجة ١٤٣٢ هـ .

لذا نرغب من معاليكم تعميد مندوب الزراعة بجمرك منفذ الحديثة بسرعة فسحها وبصفة إستثنائية وإعفائها من جميع الشروط حتى لا تتلف وبصفة عاجلة جدا ، وتزويدنا بصورة من تعميد معاليكم للمراجعة والتنسيق مع / محمد حسن الصانع ت ٠٥٠٦٤٠٧٨٠٩ .

ولمعاليكم تحياتي ......

مشعل بن عبد العزيز
١١٠١٨٥٨١٣٠

وثيقة تسرّبت مؤخراً وتعود الى ما قبل عام، وهي عبارة عن برقية عاجلة جداً (ياساتر) برقم ٤١٩٦/٥/٢٠ وبتاريخ ٢٩/ ١٢/١٤٣٣هـ الى وزير الزراعة بلغنيم، يطالب فيه الأمير مشعل بن عبد العزيز الأخير بالإسراع بفسح كمية من الشتلات عبر منفذ الحدود الشمالية، الحديثة، وإعفائها من أية فحوصات أو رسوم. وهي مخصصة لقصره الجديد..ولأن سموّه أدمن العمل خارج القانون فلذلك، فهو يتصرف كما لو أن الوزراء هم مجرد موظفين لتلبية طلبات الأمراء من آل سعود. وإليكم نص البرقية (العاجلة جداً!!):

برقية خطيّة عاجلة جداً

معالي الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان بلغنيم وزير الزراعة حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد:

نفيد معاليكم بأنه تم إحضار ٦٤٠ شتلة أشجار زيتون وحمضيات وأشجار زينة من لبنان والمشتراة من مؤسسة أرض الفن وذلك لزوم قصرنا الجديد بالرياض وهي موجود (هكذا) حالياً بمنفذ الحديثة من يوم الخميس ٢٣ ذو الحجة ١٤٣٢هـ

لذا نرغب من معاليكم تعميد مندوب الزراعة بجمرك منفذ الحديثة بسرعة فسحها وبصفة استثنائية وإعفائها من جميع الشروط حتى لا تتلف وبصفة عاجلة جداً، وتزويدنا بصورة من تعميد معاليكم للمراجعة والتنسيق مع /محمد حسن الصانع ت ٠٥٠٦٤٠٧٨٠٩

ولمعاليكم تحياتي

مشعل بن عبد العزيز

١١٠١٨٥٨١٣٠

ختم: مكتب خاص مشعل بن عبد العزيز آل سعود

إغلاق مستشفى عرفان بجدة

أخيراً وبعد شهرين من صدور القرار، قررت وزارة الصحة إغلاق مستشفى عرفان بجدة بعد أن تكررت الأخطاء الطبية بما تسبب في موجة غضب عارمة وسط الأهالي في عدد من المدن الغربية..وتم توزيع المرضى الراقدين في المستشفى على مستشفيات جدة. وكان المستشفى قد شهد حالات وفاة نتيجة أخطاء طبية، من بينها وفاة طبيب أسنان نتيجة جرعة بنج زائدة أثناء عملية ربط معدة.



وقد جاء الاسراع بالقرار بعد أن لقي حفيد وكيل شركة سيارات تويوتا صلاح الدين يوسف عبد اللطيف جميل حتفه في المستشفى نتيجة خطأ طبي من طبيب هارب. وقيل بأن قرار الاغلاق سيتم لمدة شهرين فقط، وسوف يعود، على الأرجح، للعمل حسب المعتاد. وذلك بحسب المادة ٢٣ التي تنص على الاغلاق التحفظي وليس النهائي.

وقد فتحت قضية الاخطاء الطبية واغلاق مستشفى عرفان بجدة ملف المستشفيات الأخرى التي تعاني من نقص حاد في الخدمات والكفاءات الطبية وكذلك الرعاية الصحية المطلوبة للمرضى.

الأمير سلمان: لا يعي ما يدور حوله

العملية التي أجريت للملك عبد الله في الرياض لمعالجة تراخي الرباط في ١٦ نوفمبر الجاري، هي العملية الثالثة التي تجري له في ظهره خلال عامين، والتي استغرقت قرابة النصف ساعة إلا أن الاطباء لم يضمنوا مضاعفات التخدير بالنظر الى كبر سن الملك (٨٩ عاماً) إلى جانب معاناته من أمراض أخرى.



الاذاعة السعودية الرسمية نشرت خبر نجاح العملية في الساعة السادسة وخمس دقائق صباحاً، فيما نصّ الخبر انتهاء العملية في الساعة السادسة والربع. على أية حال، بات مألوفاً هذا النوع من الاخطاء الاعلامية بسبب تزايد العمليات الجراحية وضرورة التكتيم عليها.

الخبر المهم، أن وتيرة الاجتماعات المكثّفة بين أمراء العائلة المالكة تسارعت بعد تعيين محمد بن نايف وزيراً للداخلية وتالياً دخول الملك الى المستشفى، حيث عقد في الساعة الواحد ظهراً في ١٧ نوفمبر الماضي اجتماع لإسرة ال سعود، وحضر أبناء عبد العزيز الامراء متعب وبندر وعبدالاله ومشعل وطلال ومقرن وعبد العزيز بن نوّاف (نيابة عن والده الذي يعاني من أمراض)، وتزامن الاجتماع مع ما يعانيه الملك من مضاعفات صحية جعلت الديوان الملكي يعلن أن العملية إستمرت ١٤ساعة.. كما حضر الاجتماع عدد من الأمراء الكبار والأحفاد.

وغاب عن الاجتماع كل من ولي العهد الأمير سلمان، ووزير الداخلية الأمير محمد بن نايف، ورئيس الحرس الوطني متعب بن عبدالله (وكان مرافقاً لوالده الى جانب مستشار الملك خالد التويجري) كما غاب الأمير خالد بن سلطان، وأمراء آخرون.

مايلفت هنا أن غياب الأمير سلمان كان مقصوداً، فهو بحسب المقرّبين لا يعي شيئاً مما يدور حوله خلال الساعات الماضية، لذلك تواجد أبناؤه من حوله لكي لا يصدر منه تصرّف يسبب لهم الحرج مع بقية أقطاب الاسرة.

تجارة العبيد في الحجاز

(١٨٥٥-١٩٦٢م)

١ من ٢

قبل خمسين عاماً أُلغي الرق مطلقاً بقرار رسمي. هذا تطواف تاريخي سريع يبدأ من عام ١٨٥٥م وينتهي بعد لحظة اعلان الغاء الرق في المملكة السعودية بقليل

محمود عبدالغني صباغ

في عام ١٨٥٥م أصدرت الدولة العثمانية مرسوماً بقضي بمنع بيع الرقيق في جميع الأراضي الخاضعة لسيادتها. وطلب كامل باشا والي الحجاز العُثماني المقيم في جدة، من قائم مقامه في مكة، أن يجمع دلّالي الرقيق، ويخبرهم بالاجراءات الجديدة، بمقتضى أوامر الباب العالي.

يصف أحمد زيني دحلان، مؤرخ مكة المعاصر لتلك الفترة، في (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام) تسلسل الأحداث بعد ذلك الاجتماع بشئ من الايجاز: فلما علم الأهالي في مكة صاروا من ذلك في انزعاج واضطراب، وصاروا يقولون: (كيف يمنع بيع الرقيق الذي أجازه الشارع؟).. وتنادوا بالجهاد، واجتمع طلبة العلم في بيت رئيس العلماء ومفتي الأحناف، الشيخ جمال شيخ وطلبوا اليه ألا يرضخ لما يخالف الشرع وان ينتقل معهم الى دار القاضي ليمنع صدور ذلك الأمر، فلما مشت جموعهم في الشوارع انضم اليها الجمهور ونادوا بالثورة واشتبكوا مع الاتراك في قتال عنيف وامتد القتال الى المسجد الحرام، فقُتل فيه عدة أشخاص من الفريقين، فلما انتهت الاخبار الى الشريف عبدالمطلب بالطائف غضب للأمر وجمع جموعه من القبائل لاعانة الأهالي في مكة ضد الترك، فخف الاتراك الى جدة وتحصّنوا بها، واعلن كامل باشا ان المراسيم السلطانية قد وصلت اليه بعزل عبدالمطلب وتولية الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون.

يجب ان نُخضع رواية الدحلان الكلاسيكية تلك لشئ من التفكيك.

كانت الدولة العثمانية خارجة لتوها من حرب القرم مع روسيا، يقف الى جانبها حلفاؤها الجدد البريطانيون والفرنسيون، الذين ضغطوا عليها لالغاء تجارة الرقيق على أراضيها ولاتخاذ بعض الاصلاحات فيما يخص حقوق الأقليّات. ولاذت النخبة العثمانية التي كانت تميل نفوسها الى الاصلاح بتلك التوجّهات الدولية، فبلورت شروطها في فرامانات اصلاحيّة أبطلت في احداها ممارسة الرقيق.

وكان النفوذ الاوروبي في الحجاز والبحر الأحمر يشهد تصاعداً منذ توقيع اتفاقية التجارة العثمانية – البريطانية عام ١٨٣٨م.. وما صاحبها من تنامي لمشاعر العداء المحلية ضد التجار والرعايا الانجليز القادمين حديثاً لمزاحمتهم في ميناء جدة. تزامن ذلك أيضاً مع نفوذ شركة الهند البريطانية وارهاصات شروق شمس الراج البريطاني على شبه القارة الهنديّة واخضاع عدن للسيطرة البريطانية عام ١٨٣٩م، وما رافقه من بدء ترتيبات منح امتيازات للحجاج الهنود الذين باتوا يحملون الرعويّة البريطانية، ويحظون اثر ذلك بعناية غير مسبوقة من قبل القنصلية البريطانية في جدة.. وهي امتيازات خاصة شملت مجالات الصحة والرسوم الجمركيّة والكورنتينات والتنقل. خدش ذلك مشاعر الوطنيين وكراماتهم في مدن الحجاز وبواديه.



محمود عبدالغني صباغ

هكذا كانت نغمة التوجس من الأوروبيين في أوجها لدى المحليين. ولما كان كامل باشا، والي الحجاز، اقرب لأفكار النخبة العثمانية المستنيرة، أشاع ضده أمير مكة العشائري، الشريف عبدالمطلب، بانه موالٍ للنصارى، يريد بذلك الطعن في هيبته والتقليل من شعبيته.

كان عبدالمطلب – قبيل اندلاع فتنة منع الرقيق في مكة – قد تورط في حادثة مقتل نقيب السادة العلويين في مكة السيّد اسحاق بن عقيل بصورة بشعة – كون الأخير كان حليفاً لرجال السلطنة، خصوم الشريف في مكة، في صراعه الدائم والمفتوح على السلطة. وأدرك عبدالمطلب، الذي تحصّن في اطراف الطائف، حضن الحجاز العشائري، فاراً من مواجهة جنود الوالي، دنو صدور مرسوم اعفائه من شرافة الحجاز، فوثب الى استغلال موجة العداء الشعبية التي انفلتت من عقالها مع صدور قرار منع بيع الرقيق، وتماهى مع غارات المضار، فأجج في نيران الفتنة بما اتفق مع مصالحه.

لم يكن عبدالمطلب مدفوعاً بايمان أيديولوجي في تبنيه لمطالب الغوغاء بالشارع المكّي قدر ما نُظر دوماً لموقفه على انه استغلال سياسي وتوظيف ذرائعي. وبالمثل، لم تكن عوامل اندلاع الفتنة في الشارع بريئة خالصاً. لقد

أجبر عبدالمطلب، بإيعاز من دلاّلي الرقيق في مكة وتجار جدة، علماء مكة الى اصدار فتوى تناهض قرار الغاء تجارة العبيد. ثم قاد مناوشات عسكرية ضد الحامية العسكرية التركيّة، قبل ان يتقهقر ويتحصّن في صفوف المقاومة طيلة سبع أشهر.

انتهت الأزمة لاحقاً بالقاء القبض على عبدالمطلب من قبل السلطات العثمانية ونفيه الى سالونيك باليونان، لكن قرار الغاء الرقيق في ولاية الحجاز كان قد جُمّد الى أجل غير معلوم.

كان الحجاز يخضع حينها لفضاء المحيط الهندي الكبير، وهو فضاء ثقافي وحضاري ممتد جغرافياً، تشد أطرافه المتباعدة حركة التجارة البحرية المنطلقة من البحر الأحمر الى تخوم الصين. وقبل صعود أفكار الدولة القومية عالمياً، اشترك الحجاز، مع مصر وسواحل السودان والقرن الافريقي وتنزانيا وكيبتاون، وسواحل تهامة واليمن وحضرموت ومسقط مع غرب القارة الهندية وسنغافورة وأرخبيل ملاوي (أندونسيا وماليزيا) وأجزاء من تايلاند والصين، في وحدة ثقافية وبشرية كان ابرز معالمها الانتماء للمذهب الشافعي، الأشد في التأصيل الفقهي – والأكثر تساهلاً – مع عادة شراء العبيد، وفي (اجتهادات) ورُخص التسرّي بالجواري.

الحجاز، الفقير يومها ومنعدم الموارد الذاتية، والذي كان يلمّلم شظايا شخصيته الحضارية، يريد استئناف دوره واستعلان موقفه من جديد في حركة التاريخ.. كانت سموم العوائد القديمة قد اجتاحت بنيته الذهنية فيما لا يزال هو يقاوم للخروج من وهنه الناتج من رزحه تحت وطأة غفلات الأبويّة وأوهام التقليد.

لقد سوّرت متاعب الزمان وتوابع المحن بسورها السميك على العقول التي تَلِفت ازاء التقاط اي حجة او شرعة ضداً على الواقع السائد للعوائد الكسيفة.

ومرّ عقدان ساكنان ويزيد منذ تمرد عبدالمطلب، واحداثه لفتنة مكة. وفي العاشر من يناير ١٨٧٧م، نشرت التايمز اللندنية خبراً من جدة عن رجل أسود عشريني سبح الى البارجة فاون المرابطة على ساحل جدة طالباً تخليصه من ربقة العمل مع النوخذة الذي يملكه.. فما كان من قائد البارجة، الكوماندور وارتن، الا تسليمه الى القائم بالأعمال في قنصلية جدة، السيّد أوزوالد، الذي سلّمه بدوره الى الوالي التركي، ممثل السلطات العثمانية المحلية في جدة.

استشاط غضباً من مضمون الخبر المنشور في التايمز كل من السادة جوزف كووبر وادموند ستورج من جمعية مكافحة العبيد، وارسلا برقية عاجلة من مقر الجمعية في ٢٧ نيو- بورد ستريت بلندن الى قنصلية جدة، يخبرانهما بأنه كان الأدعى الالتزام من قبلهم بقوانين اتفاقية العاشر من اغسطس ١٨٧٦م الخاصة بعدم تسليم العبيد اللاجئين لسلطات بلدانهم.

واضطر السيّد أوزوالد ازاء التساؤلات الحقوقية والصحافية الى فتح تحقيق رسمي خلص الى الآتي: الرجل اللاجئ الى البارجة، اسمه مرجان، وهو نوبي، اُختطف عن طريق البربر عبر مجرى النيل الى ميناء القصير ومنها هُرّب مع مجموعة أخرى من العبيد الى جدة، حتى بيع الى احد ملاّك القوارب الشراعية في جدة؛ اسمه ابراهيم عجلان، الذي سخّره لأعمال التحميل ومساعدة الركاب في سنبوكه. واعترف مرجان ان مالكه كان يُحسن معاملته ولم يكن يضربه قط. ولكنه كان يشتكي من تعرض جسده للبرودة حيث لا تكفيه ملابسه الخفيفة. ولأجل ذلك لجأ – عفوياً – للبارجة. واعتبر اوزوالد، في تقريره المرفوع، انه حيث لم تكن هناك اتفاقية بيّنية ملزمة فيما يخص العبيد اللاجئين فقد تم تسليمه للوالي التركي، الذي اعاده بدوره لمالكه بعد انتفاء دعوى اساءة المعاملة.

كانت محاولة مرجان أولى حوادث لجوء العبيد الى الجهات القنصلية البريطانية في جدة.. وهي وان مرت دون تدخل جوهري، فانها ستشكّل نقطة تحوّل في طريقة عمل الجهات القنصلية الأجنبية ازاء العبيد اللاجئين فيما بعد كما سنرى.

كانت تجارة العبيد مزدهرة بين ضفّتي البحر الاحمر: في انطلاقها من موانئ تاجورة (جيبوتي) وزيلع (الصومال) وبربرة ومصوّع (ارتريا) الى موانئ البحر الاحمر الآسيوية. وضمت تجارة العبيد الى جزيرة العرب عناصر افريقية عدة من ارتريا والصومال وجيبوتي واثيوبيا يدخلون عبر موانئ جدة والحديدة والمخا، وقوقاز وجاويين يأتون في مواسم الحج، ونساء هندوس من بومباي ونساء من فارس وزنجبار يأتون عبر قنطرة جُزر كمران (بالبحر الاحمر).. بعضهم للاحتياج المحلي والآخر يجري اعادة تصديره شمالاً الى تركيا ومصر.

وبدت تجارة العبيد متجذرة حينها بشكل يتعذر معها مجرد التفكير في اجتثاثها، حد ان نائب القنصل البريطاني في جدة، مستر وايلد قد كتب في مذكرته التوضيحية الى الخارجية البريطانية في ١٨٧٧م بان (ممارسة الرق في الحجاز غدت مؤسسة معقدة حيث انها تمارَس منذ عهد النبّوة، وان التدخل



احد العبيد الصبية، يرتدي الزي المكّي، يحمل مولوداً لأحد أثرياء مكة (تصوير سنوك)

بين العبيد وملاّكهم انما هو مسألة شديدة الصعوبة).. لكنه عاد واستدرك بأن عبيد جدة يجري معاملتهم بشكل انساني وخال من الاهانات ونادرا ما تسجل ضد ملاّكهم اي شكاوي.

وصير الى مبادرات تنظيمية كان مُلهمها الأول الحد من نشاط تهريب الرقيق المتفاقم.

في الأول من ابريل ١٨٧٧م، رُصد على قارب "قونيه" الذي يملكه عيسى بن خليفة من تجار سواحل الخليج، ستة عبيد كان يجري تهريبهم للحجاز من قبل وكيله سلطان بن حارب. وفطنت حينها السلطات البريطانية، الى حيَل التهريب عند تجار الخليج ومتعهدي النقل البحري فيه. ورأىَ ماكدونالد، نائب الادميرال، (ان غياب قوائم المسافرين الهنود للحج وعدم طباعة اسم الراكب على التذكرة سبب في رواج تجارة العبيد بين رعايا الهند والحجاز).

وفي الحادي والعشرين من مارس ١٨٧٧م اصدر الكوماندور كلايتون المقيم في مسقط الى نائب الادميرال ماكدونالد، يخبره ان عدداً كبيراً من العبيد يجري تهريبهم سنوياً من سواحل الخليج العربي الى الحجاز في مواسم الحج. وشرعت القنصلية البريطانية في الزام وكلاء شركات البواخر والقوارب في جدة، التي تتعامل مع حجاج الهنود وسواحل الخليج، على كتابة اسماء الركاب على التذاكر وتقييدهم في قوائم دخول.

وظلّت اكبر مسارات جلب العبيد لجدة تلك التي تأتي بالمخطوفين من اثيوبيا عبر وكلاء عرب مستقرون في موانئ تاجورة وزيلع ومصوّع ومنها عبر البحر الاحمر الى ميناء الحديدة ومنها الى جدة واسواق مكة في مواسم الحج. وقدّر الكوماندور بويز في السويس في ٣ يوليو ١٨٧٧م عدد من جرى تهريبه من اثيوبيا – وحدها – الى ميناء الحديدة بثلاثين ألف عبد فقط في عام ١٨٧٦م. كان العبيد يصلون للميناء ويباعون عبر وكلاء ومن يفيض يجري نقله الى مكة والطائف وينبع والمدينة دون اعتراض من السلطات التركية. ويقدّر عدد الذين يستهلكهم او يُعيد تصديرهم سوق جدة سنوياً من عشر آلاف الى خمسة عشر ألف عبد.

كانت جدة، درّة موانئ اقليم الحجاز، مركزاً رئيسياً لوصول العبيد، فيما كانت مكة، عاصمة الاقليم، مركزاً لاعادة تصديره، اضطراداً مع حركة مواسم الحج. وكان العبيد ينزلون على موانئ الحديدة وجدة وينبع على التوالي.. وحين سأل الكوماندور باوليت، الذي زار جدة لتفقد احوالها في يناير ١٨٧٨م الوالي التركي في جدة، ان كان مينائيّ الليث والقنفذة يُستخدمان ايضاً لتهريب العبيد، اجاب بالنفي لان البدو سيسرقونهم فور رسوّهم. وكان البدو يقتنون عبيدهم من جدة بالشراء.

لم يخل بيت في مكة والمدينة وجدة من العبيد والجواري، الذين يُستخدمون للعمل كسقائيين للمياه وعمال يدويين وقراريّة (عمال بناء) ومرافقين وباعة في الدكاكين ومديرين ومحاسبين وصيادين، ناهيك عن القيام بالأعباء المنزلية. والنساء هن جاريات وسريات للمُلاك الذين لا يستطيعون تحمل تكلفة الزواج الرسمي، بحسب تعاليم المذهب الشافعي، وهن ايضا سراري للأثرياء والمترفين الباحثين عن التسليّة.

وكان كثير من العبيد في سوق مكة يعودون لرعويّة بريطانيا او رعويّة الهند الشرقية الهولندية. وأغلب الرق الهولنديون ينتمون لجماعات: البورنيو، والسيليبس او من جزر نياز – وكلها في اندونوسيا الحالية – وهم يُرسلون اول مرّة الى مصر، ومنها في مواسم الحج الى الحجاز. وكثير منهم يُسترقون في قصور أمراء مصر. وكان من ضمن العبيد الاثيوبيين المجلوبين للحجاز مسيحيون بالولادة، كما رُصد جواري في مكة من هندوستان.

عقدت مصر مع بريطانيا اتفاقية في الرابع من اغسطس ١٨٧٧م لالغاء الاسترقاق والنخاسة في جميع انحاء القطر المصري، ومنحت الاتفاقية البريطانيين حق توقيف السفن المصرية للتفتيش عن العبيد. وتأثرت تجارة الرقيق في ميناء الحديدة مع القوانين الجديدة، وتفاعلت السلطات التركية في البحر الاحمر ببطء، وشرعت الى توفير قارب تجديف صغير في ميناء جدة للمراقبة الا انه لم يكن ذي اي تأثير. وشرعت القنصليات الاجنبية في جدة في تحرير العبيد اللاجئين اليها وترحيلهم الى ديارهم الأصليّة – لكن هذا تسبب في اندلا ع فتنة بين اوساط القبائل.

يومها حدثت فتنة في اطراف مكة، واختل الأمن في الطرقات خصوصاً في طريق جدة–المدينة المنورة، ومع شهر رمضان، الموافق يوليو ١٨٨٣م، خرج بعض المتمردين من قبائل زبيد وبشر ومعبد وسليم، والثلاث الاوائل بطون مسروحية تنتمي لقبيلة حرب، "خرجوا في طريق جدة، وصاروا ينهبون الحمل الذي يمر بهم" بحسب احمد زيني دحلان في خلاصة الكلام.

وحين همّوا الى الاعتداء على القنصليات الأجنبية في جدة، تصدّى لهم الشريف عون الرفيق، وقاتلهم حتى تقهقروا الى عسفان، فأدركهم وأوقع بهم حتى اطاعوا له، وساقوا جملة من المبررات التي دعتهم الى اشعال الفتنة، كان في صدارتها (أن النصارى يأخذون رقيقهم، ويطلقونهم من أيديهم ويرفعون الرق عنه، حتى عصي عليهم عبيدهم) بحسب دحلان.

بات ظاهراً ان يلجأ الرقيق الهارب الى القنصليات الاجنبية في جدة ويحتمون بها للحصول على شهادات الحرية. وكانت القنصليات تمنحهم شهادات حرية دون الرجوع الى ولاية الحجاز او انتظار اوراقها الرسمية. ويحتوي الارشيف العثماني تفاصيل قصة عبد هارب توجه الى استانبول في اغسطس ١٨٨٩م مع افراد اسرته بعد حصوله على ورقة الحرية من القنصلية الايطالية في جدة دون موافقة الولاية.

ونادى القنصل الانجليزي في جدة الأهالي صراحة باطلاق سراح عبيدهم في نوفمبر ١٨٩١م. وكانت السلطات العثمانية تشعر بالضيق ازاء ذلك التدخل السافر في شئونها الداخليّة. وتوجست اسطانبول من اهتمام بريطانيا المتزايد بالحجاز، كونه كان يخالف مصالحها اقليمياً.

عاد عثمان نوري باشا واليا للحجاز في فترة ثانية في منتصف ١٨٩٢م.. لكن عداءه الشخصي القديم مع الشريف عون الرفيق لم يلبث الاّ واندلع من جديد، محوره السيطرة على الحكم، وظاهره قضية الرقيق. وأنتدب احمد راتب باشا من قبل السلطان عبدالحميد للتحقيق حاملاً معه تعليمات تتلخص في اربع مهام، أولها: التحقيق في تمرد القبائل في الحجاز بسبب اعتراضهم على فرار عبيدهم.

رشا عون الرفيق، راتب باشا بستة آلاف جنيه ذهباً وضعت في صرّة وسلمّت له لحظة وصوله في ميناء جدة، يؤكد الأفندي محمد نصيف ان الأخير قام بعدها جنيهاً جنيهاً. وكتب راتب باشا تقريرا يؤيد فيه الشريف، ويبرئ ساحته ضداً على الوالي، الذي حمّل اللائمة عليه. اجتمع راتب باشا ببعض شيوخ القبائل بوساطة من الشريف عون بن ناصر الذي انتدبه لأجل ذلك، ولما التئموا احتموا باسم جناب السلطان ورموا بعقلهم واشمغتهم على الأرض حسب العادات العربية مطالبين بالعفو، واعتبروا ان تمردهم كان احتجاجاً على فرار عبيدهم، وتراخي عثمان نوري المنحاز للاجئين والمدفوع الى رفع الرق عنهم.

دكة الرقيق: مؤسسة تجارة العبيد المكيّة

لما استفحل امر الدراويش المهديون واستولوا على الأقطار السودانية في مطلع ١٨٨٥م، الغوا قرارات غوردن باشا واعادوا تجارة الرق الى افظع مما كانت عليه، فتدفق الى الحجاز، عبر عصابات سودانية محليّة، موجات ضخمة من الرقيق السوداني. وبات نشاط تهريب الرقيق من ميناء سواكن يجري في العلن، وعبر مجموعات ضخمة تتجاوز الألفيّ شخص مع كل حمولة بحرية.

وكما ازدهرت تجارة الرقيق والجواري في الحجاز، ازدهر معها نشاط شراء الحجاج العبيد لاعتاقهم، واعادة حرياتهم اليهم. وغصت مدن الحجاز بالأرقاء العتقاء، بل ان مدينة كاملة في جوار المدينة المنورة، وهي خيبر، قد تألّفت حصراً من الارقاء السابقين. وبرزت في مكة مؤسسة دكّة الرقيق، وكانت سوقاً للعبيد في اطراف سوق سويقة، على مقربة من باب الدريبة، يقوم عليها شيوخ التجارة، وملحقة بأحواش مفتوحة غير كبيرة يحبس فيها الرقيق في المساء.

وكانت مراسم البيع تجري بحضور شاهدين، وتُسجّل في اوراق مجلوبة ومُصدقة من المحكمة الشرعية. ويصف المستشرق الهولندي سنوك هوروخرنيه الذي مكث في مكة عام ١٨٨٤م، أجواء ومناخات بيع العبيد والجواري في دكّة الرقيق بالقول: (ازاء الجدار تقف الفتيات والنساء من الجواري على الدكّة، والكبار منهن لا يرتدين سوى حجاب خفيف، ويقف أمامهن على الأرضيّة الرقيق الذكور، وفي بهو القاعة يلعب مجموعة من العبيد الصبيّة. ويجلس الدلالون على مركازهم ويتبادلون أطراف الحديث

سوية او مع بضاعتهم من الرقيق).

فيما يصف طقوس الشراء: (واذا اهتّم زبون بصبي أسود صغير، يقوم الدلّال المخصص بمناداته، ويطلب منه الكشف للزبون عن شعره، واقدامه، وبقية أطرافه؛ ويجبّر الصبي على فتح فمه واستعراض لسانه واسنانه، فيما يقوم الدلّال باستعراض مواهبه للزبون المهتّم). واذا جاء المشتري لابتياع جارية فحصها فحصاً دقيقاً من قمة رأسها الى أخمص قدميها كما تُفحص البهائم. فاذا تحقق من لباقتها ولياقتها سامها من البائع.

ويقوم المشترون عادة بعدة اختبارات للرقيق قبل اتمام عملية الشراء. فيسألونهم ان كانوا يتحدثون العربية، ويسألونهم بعض الأسئلة الشخصيّة.. ثم يقومون بالكشف عن علامات الاصابة بالجدري، ويبحثون في اجسادهم عن ختم (جدرّي خالص) تنويهاً عن تلقيحهم ضد الجدري – واللقاح كان يُمنح في الحجاز، مشفوعاً بشهادات اعتماد مختومة من مفتي الشافعيّة في مكة، ولكن قلّما كانت تمنح هذه الشهادات للعبيد. واذا ظلّ في نفس الزبون قليل من الشك، فانه يصطحب العبد الذي ينوي شراوّه لفحصه عند طبيب مقابل عائد مادي، او يقوم بصلاة (الاستخارة).. اما اذا كان يعمل بالرمل والندر، فهو يذهب لشيخ الرمل ليقرأ طالعه قبل اتمام صفقة الشراء. وأخيراً يسأل السيّد الجديد عبده: (هل انت راض؟).. ومن خلال الاجابة، حتى لو جاءت بالسلب، يدرك الرجال بفراستهم فرص نجاح العلاقة الجديدة من عدمها.

ووقف الضابط الروسي عبدالعزيز دولتشين الذي زار مكة متخفياً في عام ١٨٩٨م على اجواء دكّة الرقيق، ووصفها بالمحفل الرهيب. يقول دولتشين: (وعندما زرت هذا السوق، كان هناك زهاء ٨٠ شخصاً معظمهم شابات حبشيّات مع اثنتين او ثلاث منهم اطفال رضع، وجميعهن مزيّنات ومصفوفات فرقاً على دواوين طويلة؛ وكان هناك مقعدان يجلس عليهما كادحون راشدون من الزنوج، لابسون بعناية ومقصوصو الشعر.. يشرف على البيع تاجر عربي نشيط راح يمدح بصوت مدو مزايا بضاعته). وخلص دولتشين الى ان ما رآه قد ترك في نفسه انطباعاً كئيباً ومُرهقاً جداً.

لكن المستشرق هوروخرونيّه، الاعتذاري للشرق وممارساته وأخلاقه، اعتبر ان الرحّالة الأوروبيين الذين يحكمون على تجارة العبيد في الحجاز باستعلاء وبفرض تام لقيّمهم انما يجافون الواقع ويغلّبون نظرتهم السطحية والمستعجلة للأمور. (وأسفاً فإن غالب المستشرقين ينقلون لنا ملاحظات سطحيّة عن ممارسات الرقيق في مكة)، يقول هوروخرونيه. ويرى أنه لا يمكن ان يشتري احد في اسواق مكة اي عبد ذكر دون ارادته، لكن هذا الشرط يجري التسامح معه مع الرقيق الاناث والجواري. وان الرقيق اذا استشعر سوء المعاملة فانه يصرّ على بيعه حتى يرضخ مالكه، فيعيد تسليمه الى دكّة الرقيق. لكن ذلك كان يجري دون غطاء قانوني.

ويقول هوروخرونيه: (لا تبدو على الرقيق في البيوت اي علائم للحزن او السخط، وهم لا يسكبون دمعة واحدة على تقييد حرياتهم. لكنهم يبدأون في الاعتراض اذا ما تم اساءة معاملتهم حتى ينالون فرصة أخرى للبيع لمالك آخر). أما اذا اخطأ العبد فان عقوبة الضرب على أسفل قدميه في انتظاره. يصف هوروخرونيّه ذلك المشهد كما شاهده في احد حارات جدة: (يضجع العبد على بطنه، ويرفع قدميه للسماء، فيما ينزل المالك او احد رجاله بعصا ـ الفَلَكَة ـ على اسفل قدميّه، فيما يصرخ العبد معلناً التوبة، وطالباً العفو بإسم الرسول). لكن هوروخرونيه يستدرك ان هذه العقوبة هي نفسها التي يستخدمها أهالي الحجاز ازاء ابنائهم المشاغبين، نافياً اي شبهة تمييز. ويخلص المستشرق الى تسامح المجتمع المكّي واحترامه للعبيد.. كون العديد من الجواري، انما يصبحن أمهات لمكيين، فيما يعقب العبيد الذكور أسيادهم في مهنهم ومكاناتهم الاجتماعية، بل ويحملون ألقابهم العائليّة.

ويضرب هوروخرونيه مثلاً بأحد (كُباريّة) مكة، ممن ينحدر من عائلة أرستقراطية مكيّة عملت في الافتاء، في وصف المعاملة فائقة الاحسان التي يتعامل بها العبيد في الحجاز، فيشير الى تعامله شديد التهذيب حد التدليل لمرافقه المملوك، في احد الغدوات التي كان يحرص على لقائه فيها بشكل دوري ابّان مكوثه في مكة – واغلب الظن ان المقصود هو صديقه الحميم السيّد عبدالله الزواوي، مفتي الشافعية في مكة.

ويذهب هوروخرونيه، الذي كان يحكم على المظاهر بشكل نسبي، ان (عبيد) مكة هم في حقيقة الأمر الموازون للخدم والمساعدين الشخصيين في اوروبا (المتحضّرة). ويكاد يُفرط في اعجابه بالتعامل الأفضل الذي يحظى به العبيد في بيوت مكة. فهو يعلن رفضه للأحكام القاسيّة التي يُصدرها بعض المستشرقين الاوروبيين في عجالة ضد ظاهرة العبيد في الشرق، معتبراً انها مؤسسة متجذرة اجتماعياً، ولها أصولها القرآنية، التي يصعب الغاءها بجرّة قلم، او بمطالب نزقة من الغربيين. لكنه اعتبر ان اسوء الممارسات البغيضة التي تترافق مع تجارة العبيد، والتي لا يمكن التسامح ازاءها اطلاقاً، هي ظاهرة (الخصي) لفئة الأغوات الذين يحق لهم الدخول في مجالس النساء الارستقراطيّات، او اولئك الذين يعملون في فراشة الحرم المكي الشريف.

ولم يُخف هوروخرونيه بغضه لممارسات اختطاف الأطفال في افريقيا وبيعهم في اسواق الجزيرة العربية، لكنه اعتبر ان السؤال الجوهري يتعلق بنوعية الخطاب المعقول الذي يجدر بالغربيين استخدامه بما يساعد على القضاء على الظاهرة من جذورها، لا مفاقمتها من خلال اعلان العداء لها اعلاميا وسياسيا والترصد لممارسيها. وهو يضرب مثالاً بالسياسات الأوروبية المتخذة في القرن الافريقي لمكافحة تهريب الرقيق: (لقد اجبرت الجلاّبين ـ اي مهربي العبيد ـ على اتخاذ مسارات أبعد وأكثر وعورة، تصل الى اثني عشر ساعة من المشي على الأقدام للوصول الى الشاطئ؛ وهو ما يعزز من فرص الوفيات بين الاطفال. ان سياسات محاربة الرقيق، لم تقلص من اعداد المهربّين، لكنها فاقمت من اعداد الوفيّات)، يقول هوروخرونيه، الذي وجد في المقابل السياسات العربية في الحجاز اكثر انسانيّة. وخلص هوروخرونيه الى ان تجارة العبيد ستنتفي بالتنميّة البشريّة الحقيقية للمجتمعات الافريقية الفقيرة والمعوزة (لأنها ستعلي وقتها من قيمة الحياة للأفراد)، وهو ما كان يراه مفقوداً في أبجديات الخطاب الاوروبي الذي اعتبر انه يريد معالجة المسألة بالارجاف والتهمة وفرض سياقاته المختلفة بشكل متعسف.

الدستور العثماني الحديث: انتصار مؤقت للحريّات

بعد اعادة صدور الدستور العثماني في عام ١٩٠٨م، وصعود الاتحاديين للحكم في الاستانة (اسطنبول)، تشددت السلطات ازاء تجارة العبيد في ولاية الحجاز، امتثالا لبنود الدستور. وصدر فرمان، نُشر في صحيفة تقويم الوقائع (Taqvim-i Veqayi) في الثلاثين من اكتوبر ١٩٠٩م بالتأكيد على منع تجارة العبيد والتأكيد على حريتهم اياً كان لونهم او جنسهم – بحسب الدستور – وان اي مخالفة لذلك يُعد بمثابة جريمة يُعاقب عليها القانون. لكن مع عام ١٩١٠م يفيد تقرير للخارجية البريطانية بأن تجارة العبيد في الحجاز كانت لا تزال رائجة – وان بإستتار – خوفاً من التشديد الحكومي الأخير. ويسمّي التقرير اسماء التجار الذين يعملون في تجارة العبيد في ميناء جدة، كان أبرزهم: سعيد قاسم الصعيدي، ووكلائه: باسودان الحضرمي، والصافي الحضرمي.

١ – ما بعد الثورة العربية: الشريف وتجارة العبيد:

عادت التجارة للازدهار من جديد مع قيام الثورة العربية الكبرى التي انطلقت من مكة في ١٩١٦م ضد الاتحاديين. لكن الشريف حسين، ملك الحجاز وقائد الثورة، سيقوم بعد اقل من ثلاث سنوات – في عام ١٩١٩م – باغلاق سوق العبيد الشهير في مكة الذي يحمل اسم (دكّة الرقيق)، وفي

البدء في التضييق على نشاط التهريب. وبزغت ازاء الترتيبات المحلية واغلاق اسواق ودكك الرقيق بدائل مبتكرة لبيع وتسويق العبيد في مدن الحجاز. كان العبيد بعد هبوطهم لأرض الميناء يوزّعون على منازل الدلالين في جدة الذين يقومون بدورهم ببيعهم سراً، لا في سوق او مزاد علني، وانما بالدلالة المباشرة. وارتفع سعر العبد الذكر مع حلول عام ١٩٢١م في جدة الى ستين جنيهاً استرلينياً. اما العبدة المؤهلة بالقيام بأعباء المنزل فوصل سعرها الى مائة جنيه استرليني.

ومع ديسمبر ١٩٢١م عادت تجارة العبيد لسابق عهدها مع تراخي السلطات. ويفيد تقرير المايجور مارشال، قنصل بريطانيا، الذي بعثه الى قيادة البحر الاحمر في بورسودان، بأنه لم تعد للحكومة الحجازية الهاشمية القُدرة على السيطرة على تجارة العبيد، ولا مُلاحقة المهربين، حد ان بعض رجال الجمرك الفاسدين يُقدمون بين فينة وأخرى على تلقي رسوم جمركيّة رسمية على شحنات العبيد، وآخرها شحنة قادمة من اليمن محمّلة بعشرين جارية حبشية – تماماً مثل الايام الخوالي قبل الدستور العثماني!



عام ١٩١٨م: صورة لافريقية تقيم في بيت الخصف خارج سور جدة (تصوير تشارلز وينكلسين)

وبيع الشاب عثمان آدم –١٦ سنة– من قبل آدم عبدالله البرناوي في جدة الذي كان قد احضره من سواكن للعمل معه ثم حينما تقاعس باعه بـ ٤٤ جنيهاً. وتم البيع بواسطة الشيخ محمد جبركاني احد شيوخ البرنو، فيما كان الدلّال الشيخ ادريس مالك الذي تحصّل على عمولة البيع ومقدارها أربع جنيهات.

كان من وجهاء الجاليات الافارقية المستقرّة في مكة من يتوسط ويعمل دلالاً في بيع العبيد المجلوبين من افريقية، وكثيراً ما كانوا يتخذون اساليب المراوغة والحيلة. وفي موسم حج عام ١٩٢١م، اختطف عبد مرافق لأحد ميسورات السودان وتدعى عيشة يوسف. اختطفه منها في جدة احمد محمد ابوبكر. وحين ارادت استعادته توسطت لدى شيخ البرنو في مكة محمد فونتامي الذي افادها بوفاة مالك العبد، وان العبد اصبح من الآن ملكا للشريف ودفع لها تعويضا. وذهبت عيشة الى المدينة المنورة وتزوجت فيها، وحين عادت الى جدة وجدت عبدها السابق قد سُلّم من الفونتامي الى شيخ آخر للبرنو تمهيدا لبيعه لمصلحة الأول.

وفي رسالة من نائب القنصل في جدة للقيادة في بورتسودان بتاريخ ١٠ يناير ١٩٢٢م، تفيد بوصول اعداد كبيرة من الاطفال الاثيوبيين المخطوفين للحجاز، وبشكل يومي. ورُصد في الأول من يناير وصول ٣٧ طفلاً، وفي الثاني من يناير ٤٥ طفلاً، وفي الرابع من يناير ٥ اطفال.. وصلوا جميعا من ميناء تاجورة في الصومال الفرنسية (جيبوتي)، حيث تم شحنهم بالسنابيك الى ميدي في اليمن عبر شيخ ميناء ميدي الشيخ عبدالمطلق، وفي ميناء حبل عبر الشيخ سعيد بن مساعد، احد وسطاء تجار عبيد الدنقلة بين سواحل ارتريا وتجار الحجاز.

في جدة.. كان يستقبل الاطفال المهربين السيد عبدالحميد ابن عبدالمطلوب بعد ان ترسو سنابيكهم في الرويس او جنوب جدة حيث مقبرة النصارى، خارج السور. وكان تهريب العبيد ممنوعاً رسميا، لكن يجري غض البصر عنه مقابل رشوة مقدارها ٣ جنيهات ونصف عن العبد. وفي الحالات القليلة التي يجري اخطار السلطات بالعمليات وتقوم بمداهمتها، يجري اعتقال المتورطين عبر شرطة جدة المحلية. وكان شيوخ تجارة العبيد في ميناء تاجورة – وهي احد مقاطعات جيبوتي الست: علي احمد، حسن محمد، داود خنبشي وجرّات العبلي.

فزع الصحفي العربي/ الامريكي أمين الريحاني ابان زيارته للحجاز وعسير في انحاء عام ١٩٢٢م من تفشي داء العبودية.. فكتب وهو في تهامة تغلفه مشاعر الاحباط: (كنت أوّمل، على فرض وجود الرقيق والنخاسة، ان تكون الحكومة ناهضة للأمر متعقبة المجرمين، ساعية في محق هذه التجارة المستنكرة، الأثيمة، فوجدتها في الحجاز وعسير نائمة – وا اسفاه – او متناومة، او عاجزة. بل وجدت الحكومة أحيانا حليفة الرعاع).

والى جانب دكّة الرقيق في سويقة، كان هناك دكك للرقيق في كل من المدينة والطائف، وسوق للرقيق في جدة على بعد خمسين مترا من دار القنصلية البريطانية. فيما كان سوق عرد في تهامة احد اعظم اسواق الرقيق، وكان سوق ميدي مركزاً لتصدير العبيد الى عقبة اليمن والعسير وجدة. يقول امين الريحاني: (واذا اراد أحد السادة الأدارسة شراء جارية حسناء يجئ الى ميدي فلا تضل خطاه ومناه). ووجد بشئ من الأسف (ان في الحجاز من يحللون ويحبذون النخاسة ومنهم من يأسف انها غير مستمرة ويلعن المراقبة البريطانية).

في التاسع من مايو ١٩٢٢م اخبر السير اوليفانت من الخارجية البريطانية الشريف حسين ان حكومة الملكة لن تدخل في اتفاقية ثنائية مع دولته ما لم تشدد القبضة ضد تجارة العبيد. وفي رسالة من قائد البارجة كورنفلاور الى الشريف الحسين في ٢٢ يونيو ١٩٢٢م، نجده يدعوه للتعاون في الغاء العبيد من جديد. الشريف الحسين ابدى امتعاضه من النظام الحالي للرق ولكنه كان يبرر بأنه كزعيم اسلامي يصعب عليه الغاء ما تجذر في الثقافة الاجتماعية للحجاز من شيوخ البادية وأعيان الحضر – فهو يكتفي بألا يُنكر ولا يؤيد. يقول المايجور مارشال، قنصل بريطانيا، انسجاماً مع تبريرات الحسين، بأنه يجب ان تكتفي حكومة بريطانيا بانتزاع ادانة أخلاقية من الحسين للرق. واعتبر المايجور مارشال في رسالة الى الخارجية البريطانية في ٢٩ مايو ١٩٢٢م، انه ليس من الموضوعية الحكم الأخلاقي ضد الشريف ازاء ثقافة تجذرت في التربة الحجازية والعربية لقرون.

وكان من الاوروبيين في جدة من تورط في تلك الممارسة. فالقنصل الايطالي استقدم عبدة من ارتريا، وطبيب هولندي معروف يقيم في جدة اشترى جارية حبشية في نوفمبر ١٩٢١م مقابل سبعين جنيهاً ذهبياً استرلينياً. وتعاونت السلطات المحلية في الحجاز مع الطلبات البريطانية لتحرير رعاياها – يعود ذلك لنشاط وزير خارجية الحجاز، الشيخ فؤاد الخطيب. وكان القنصل البريطاني يرسل بأسماء وجوازات من يعتقد انهم تجار للعبيد، للخارجية الحجازية التي كانت ترد على الاستفسارات بشكل فوري.

في السادس والعشرين من ديسمبر ١٩٢٢م، اشتبه القنصل بخمس تجار

يحملون الجواز الحجازي من اصول حبشية كانوا في اتجاههم عبر ميناء جدة الى عدن: سراج بن بكر، عربو بن محمد، محمد وحمزة بن ثاني، وعلي بن عبدالله – وكلهم في عقد الثلاثينات، ولكنه عاد وأكد انه لا يملك اي دليل ادانة ضدهم. وكان كثير من مهربي العبيد في تلك الفترة أحباش يحملون جوازات سفر حجازية يحصلون عليها بالحيلة او بالرشوة، مثل علي بن عبدالله الحبشي، حامل جواز حجازي رقم ١٠٦٠/١١ بتاريخ ٢٦-٦-١٣٤١هـ؛ وصالح بن ابراهيم الحبَشي، حامل جواز حجازي رقم ٢٣٧/٣ بتاريخ ١٣٤٢/١/١٤هـ. واسمه الأصلي صالح ابراهيم تراب، والده ابراهيم تراب، حبشي يحمل الجنسية الفرنسية، من كبار تجار العبيد في تاجورة.

وكان صالح قد هرّب الى جدة في يونيو/ يوليو ١٩٢٣م، مائة وثلاثين عبداً، منهم ستين امرأة، تتراوح اعمارهن ما بين ١٠ و ٢٥ سنة، عبر سنبوك (فتح الخير) الذي يملكه علي محمد من خوخة اليمانية، حيث استلم شُحنتهم احد اخوته الصغار في جبل الشِحر باليمن، وانتقل بها صعوداً على ظهور الجمال الى جدة حيث التقاه اخوه صالح ووالده ابراهيم الذي التحق بهما من ميناء مصوّع. وقد بيع عبيد ابراهيم تراب المجلوبون الى جدة بأربعين الى سبعين جنيهاً للفرد.

السلطات الفرنسية حاولت الحد من التجارة البغيضة المنطلقة من سواحلها. وقبض على المُهرب ادريس بن عبدو الحبشي، حامل جواز حجازي رقم ٢٠٠/٢ بتاريخ ١١ المحرم ١٣٤٢هـ، حال وصوله الى ميناء جيبوتي، وحُكم عليه بالسجن خمس سنوات مع خمسة تجار أحباش آخرين يحملون جوازات حجازية كان من ضمنهم صالح تراب الذي تلقى حكماً بالحبس مدته ثلاث سنوات. وفي مايو ١٩٢٣م، لاذ آدم بن يحيى من أهل الفاشر الى القنصلية البريطانية.

جاء آدم لمكة في ١٩١٧م وهو لايزال طفل حر تم خطفه من بلاده، وبيع الى رئيس شرطة مكة منصور بن زاهر، وظل يعمل في خدمته ست سنوات، وحينما طلب منه اعتاقه او بيعه، باعه على احد شيوخ حجاج الجاوا من المكيين، ثم استرده واخبره بانه سيبيعه لشخص اكثر وجاهة على أمل اعتاقه. وفي غضون ذلك التحق به في مكة عمه عبدالله بن محمد، والشيخ جبريل وكلاهما من وجهاء الفاشر، سعياً منهما لضمانه واثبات أصوله الحرة. وفي السادس والعشرين من مايو ١٩٢٣م، قدّم وزير خارجية الحجاز فؤاد الخطيب اعتذاره للحكومة البريطانية واعتمد اخلاء سبيل آدم للسودان على الفور.

القنصل البريطاني بولارد:

عهد من الترصد لمقتني الرقيق

عُيِّن ريدر بولارد قنصلاً ومعتمداً بريطانياً في جدة في يونيو ١٩٢٣م وبقي معتمداً حتى حصار السعوديين لجدة، قبل ان يترك منصبه لنائبه المستر جوردان، قبل سقوط جدة بأشهر معدودة في يد جيوش ابن سعود. كان بولارد سادس معتمد قنصلي رفيع يجري تعيينه في الحجاز بعيد اندلاع الثورة العربية الكبرى التي تحالف فيها شريف مكة مع البريطانيين.. ولم يكن بولارد مثل القناصل المخضرمين الذين جرى تعيينهم عقب الثورة مباشرة، من امثال الكولونيل سيريل ويلسون، الذين عبّروا عن تجربة طويلة وعميقة في فهم الذهنية الشرقية واحترام مطامح العرب وتطلعاتهم. بولارد، على النقيض، كشف عن موقف عدائي اتسم دوماً بالصلف والتكبر الاستعماري.

اشتهر بولارد بمعاندته لمطامح الشريف السياسية حتى اتسعت الهوة بينهما، واتخذ من حوادث اقتناء وانتهاك معاملة العبيد مدخلاً واسعاً لملاحقة الشريف واعوانه وكبار التجار في الحجاز، وان كان من الانصاف ان نذكر ان كثيراً من مواقفه اتسمت – ولو ظاهرياً – بالإنسانية. لاحقاً في مذكراته التي حملت عنوان: (الجمال يجب ان ترحلThe Camels Must Go)، اعترف بأن الوضع بين الحسين وبريطانيا (كان مثالاً من امثلة العداء بين الشرق والغرب. وهو عداء كثيرا ما ينشأ بسبب ان كل طرف من الطرفين ينظر الى الأمور من وجهة نظر مختلفة).

وتُظهر وثائق الخارجية البريطانيّة، ان بولارد انتظر عاماً كاملاً قبل ان يتبنى النبرة الضارية ضد اقتناء الحجازيين للعبيد.. يعود ذلك لموقف الشريف حسين المتعنّت ازاء توقيع الاتفاقية البريطانية – الحجازية الذي كان يتطور بشكل طردي. كان الشريف حسين يشعر بابتزاز البريطانيين له في تسييسهم لموضوع الرقيق على اراضيه، واضطر الى مواجهة ما لمس بأنه استغلال سياسي لموضوع الرقيق من قبل البريطانيين، بتسييس مُضاد. وفي حادثة شهيرة، أمر فوراً باعتاق عبد سوداني فقط حينما كان بائعه المتورط سوداني آخر يحمل الرعويّة البريطانية، يريد بذلك خلق انطباع للبريطانيين بأن ممن يمارس تجارة العبيد أيضا هم ممن ينضوون تحت رعويتهم، وان ذلك لا يقف على رعايا الحجاز.

ولربما نجح الشريف في خلق ذلك الانطباع، الى حد ان القنصل بولارد في رسالة منه الى رمزي ماكدونالد، وزير الخارجية البريطاني - ورئيس الوزراء البريطاني فيما بعد - وفي الحادي عشر من يونيو ١٩٢٤، أقرّ بأن الرعايا البريطانيين من هنود مكة يمارسون بيع وشراء العبيد في مكة وجدة مثل الرعايا الحجازيين تماماً، وهو يستأذن منه استدعائهم جميعا من مكة فرداً فرداً للتبيّن ما ان كان من يعمل في دورهم عبيد ارقاء حقاً ام مجرد عمال أحرار يعملون بالأجرة.

بولارد اقترح بدوره ان تمنح التابعيات الحجازية، للمطالبين بها من المهاجرين الهنود القدامى في مكة، دون ندم او تردد، كونهم قد استعرقوا في الحجاز بما يكفي، وانصهروا في تركيبة المجتمع الحجازي حتى انهم باتوا يمارسون أغاليظهم الاجتماعية ذاتها، بحسب تعبيره.

وبدأ الحسين، مع معاندة البريطانيين له في مطالبه بتسويات عادلة في كل من سورية وفلسطين، بالتعنت ازاء قبول القنصليات الأجنبية لأي لاجئين من العبيد. وفي احدى المراسلات بين حكومتيّ الحجاز والخارجية البريطانية كانت تعترض الأخيرة على الرسوم الجمركية المفروضة على العبيد في ميناء جدة، فجاء الرد في جهة أخرى تماماً حول ضرورة تقديم تسوية عادلة في سورية ضد الانتداب الفرنسي.

وخفت نشاط لجوء العبيد الفارّين من ملاّكهم الى القنصليات الأجنبية، لتشدد السلطات الحجازية ازاء ذلك. لكن في الخامس من اغسطس ١٩٢٤م لجأت امرأة تدعى (مؤمنة) مع ابنتها الصغيرة وهي من اهل السودان الانجليزية الى دار الاعتماد البريطاني (القنصلية) في جدة تطلب تحريرها وترحيلها الى وطنها – خارقة بذلك السكون الطويل. ومؤمنة كانت قد وصلت الى مكة قبل عام عن طريق بائعها في جدة محمد باعقومة وهو سوداني. فارسل بولارد الى الشريف حسين في مكة في ١٣ اغسطس لاصدار اوامره الى قائم مقامه في جدة لتحريرها.

باعقومة كان قد فلت من الاعتقال في جيبوتي الفرنسية وعاد الى جدة من جديد حيث قبض عليه في قضية بيع امرأة اخرى، حتى ان القنصل البريطاني عبر عن استيائه من تراخي الفرنسيين في ضبط سواحلهم في رسالة امعتاض وجّهها الى القنصل المؤقت الفرنسي في جدة السيد كلال وهو من اصل جزائري. فارسلت الخارجية الفرنسية من باريس رسالة الى السفير البريطاني في باريس في ٢٣ سبتمبر ١٩٢٤م للتفاهم المشترك حول التعاون بين قنصلية البلدين في جدة للحد من تجارة العبيد.

كان الحسين في أواخر عهده حاسماً في منع قبول القنصليّات الأجنبية في جدة لأي حالة لجوء من الرقيق، مع وعود صارمة منه بملاحقة المهربّين. ونحن كلما اقتربنا من لحظة تنحي الحسين عن العرش ورحيله الى المنفى

نلمس ازدياد حساسيته ازاء القضايا (السيادية). يقول بولارد الذي عاصر آخر ستة عشر شهراً للشريف حسين وهو في العرش، كمعتمد قنصلي في جدة: (طيلة ستة عشر شهراً قبل تنحي الشريف حسين، فقط امرأة واحدة لجأت للقنصلية بطفلها ـ وهي مؤمنة السودانية – البقية كانوا يرتعبون من الحسين ومن قبضته الحديدية وكانوا لايجرؤون على الاقتراب منا).

واخذت قضية اختطاف فتاتين جاويّتين مسيحيتين وتهريبهما لمكة أبعاداً دولية. الفتاتان كانتا في طريقهما الروتيني لأحد جزائر ارخبيل الملايو، لكن سمساراً حضرمياً اعترض طريقهما واختطفهما الى سنغافورة ومنها الى مكة، حيث بيعتا بمقابل ٥٠٠ جنيه استرليني للفتاة، لندرة الجاريات الجاويات آنذاك وشدة الطلب عليهن. ووصلت الفتاتان، كما تشير وثائق الخارجية البريطانية، الى نفر من آل شيبي، وان كنّا لا نعلم بالبيع ام بالاهداء – وآل الشيبي من اقدم عائلات مكة وأكثرها وجاهة بعد عائلة الشريف. وحينما وصل الأمر للسفارة الهولندية اخطرت بدورها فؤاد الخطيب، وزير الخارجية الحجازي، الذي اصيب بانهيار عصبي جرّاء ذلك الخبر، كونه يأتي في وقت حرج على الدبلوماسية الحجازية التي كانت تواجه خطراً حدودياً عسكرياً سعوديا محدقاً يشي بزوال دولتها. ومرر الخطيب الخبر بطريقته للشريف حسين، وكان الخطيب يريد تخفيض الخسائر الدولية، فاستشاط الشريف غضباً واعتذر بحرارة للهولنديين وامر باطلاق الفتاتين وبتوبيخ المتورط من آل الشيبي بشكل معلن وصارم، لرغبته في اظهار ان عدالته تنسحب على الجميع.

وبعد تنازل الشريف حسين، ورحيله الى المنفى، تقاطر العبيد الى مبنى القنصلية البريطانية في جدة طلباً للعتق والترحيل الى بلادهم الأصلية. يؤكد بولارد في وثيقته التي حررها من ١٦ صفحة الى وزير الخارجية البريطاني: (لحظة رحيل الحسين الى منفاه بميناء العقبة تقاطر العبيد على القنصلية البريطانية، مع أقلية ارترية لجأت للقنصلية الايطالية).

وفي الثامن عشر من ديسمبر ١٩٢٤م حررت القنصلية البريطانية فردين لجئا اليها، بعثتهما الى ارتريا عبر جيبوتي، وكانا: بشير (واسمه الحقيقي ارصوره) عمره ١٢ سنة، ومالكه السابق: الشريف عبدالله مهنّا، وفرج (واسمه الحقيقي عنبر عبدالله) من اهل الفاشر في الطرف البريطاني – المصري ومالكه السابق: احمد الصبحي من عربان قبيلة حرب، وقد وصل الى سواكن في ٢٥ ديسمبر ١٩٢٤م، بعد عشرين عاما قضاها في إسار العبودية.

واذا كان الشريف حسين، في آخر سنواته، قد تعامل مع دعاوى اطلاق العبيد ولجوئهم للقنصليات الأجنبية بجدة بحساسية شديدة، فاننا نلمس في المقابل نبرة اعتذارية من افراد طاقمه الوزاري والاداري المقرب. كما ونلاحظ وجود محاولات نبيلة من فؤاد باشا الخطيب وزير خارجية الحجاز، وعبدالملك الخطيب سفير (مُعتمد) الحجاز بمصر، وناجي الأصيل، سفير (مندوب) الحجاز في لندن، وأبناء الحسين؛ علي وفيصل وعبدالله، لطي ملف الرق في الحجاز.. لكن جهودهم بعثرتها أولويات أخرى منها القضية الحدودية مع ابن سعود، وشبح الحرب الذي كان يخيّم على الأجواء، وتضعضع الاوضاع الأمنية في نواحي القبائل الحجازية الساخطة على سلطة الهاشميين خارج المدن المركزية، وتأجيل توقيع الاتفاقيات بين البريطانيين والحكومة العربية الهاشمية في الحجاز نتيجة تصلّب الحسين حول بعض البنود التي كان يراها تخدش سيادته على الاراضي العربية، وتخلّ بوعوده لأهالي فلسطين وسورية.

وفي اغسطس ١٩٢٤م تورطت امرأة مكيّة في قضية تهريب للرقيق تناولتها الصحافة الدولية بشئ من الاثارة. كانت تلك السيّدة المكيّة تمكث في جاوى، عند احد العائلات المحلية الميسورة التي استعانت بها لتعليم بناتها اللغة العربية وتعاليم الإسلام، وحينما همّت للعودة لمكة طلبت منها العائلة ان تصطحب معها احدى بناتها لتقضي فريضة الحج معها، لكن السيدة عند وصولها الى مكة ادعت ان الفتاة من أملاكها وعاملتها على هذا الاساس. ووصل اخو الفتاة المختطَفة للحج، وحاول سراً تهريبها لكن السلطات اوقفته في بحرة (في الطريق بين مكة وجدة) واعيدت الفتاة لمنزل سيدتها التي تمسّكت بها.

كانت صحيفة الديلي كرونكل البريطانية قد نشرت في السادس من نوفمبر ١٩٢٤م، عبر مراسلها الجديد في البحر الأحمر – ومقره السويس، مستر جورج رينويك، تقريراً لافتاً تحت عنوان ساخط: (رعايا بريطانيون عبيداً للعرب).. كشف فيه عن ممارسات الخطف التي تجري في الاراضي البريطانية في آسيا وافريقيا لعبيد يُباعون في الجزيرة العربية. وذهب التقرير الى ان تلك التجارة انما (تحظى بتشجيع ملكي من الحسين.. حيث ان احد وزراء حكومته يملك وحده ١٤ عبداً.. بل ان الحسين، نفسه، وهو في طريقه الى منفاه اصطحب معه عبيده الأفارقة).

وارسل السيّد ناجي الأصيل الى السيد ماليت في الخارجية البريطانية، رسالة يعبّر فيها عن استيائه عما قرأه في صحيفة الدايلي كرونكل عن تجارة العبيد في الحجاز.. مؤكداً موقفه الشخصي المناهض لتجارة العبيد ومعلنا ترحيبه للتعاون مع وزير الخارجية الجديد في اضافة بند في اتفاقية الحجاز وبريطانيا تُبطل ممارسة العبودية.

لكن مكة كانت اثناء ذلك قد سقطت في يد جيوش الإخوان ضداً على حكامها الهاشميين الذين تراجعوا الى حصون جدة. وتواصلت القنصلية الهولندية مع الخارجية السعودية وممثلها آنذاك الشيخ فؤاد حمزة، الذي كان يواجه امتحانه الدولي الأول في قضية الرقيق الحجازي، فوافق على الفور على اطلاق سراح الفتاة الجاويّة لكنه امر بتسوية لمصاريف سكن ومعيشة الفتاة في مكة تُدفع لسيّدتها.

وفي عام ١٩٢٤ صعد نجما: المنشي احسان الله وهو مسؤول قنصلية بريطانيا في مكة، والسيد يوسف خان من وجهاء مكة من أصول هندية، وكانا يقاومان، بكل استنارة، ممارسة الرق في مكة. ومع انتقال الحكومة الهاشمية من مكة الى جدة، وانتقال العرش من الحسين الى ابنه علي، بدأت مساعي بولارد لملاحقة ملاّك العبيد في الحجاز تأخذُ أبعاداً دولية.

ومع بدايات حصار السعوديين لجدة ارسل بولارد رسالة الى الحاكم المدني لولاية البحر الاحمر هاويل اسك، في ٢٠ يناير ١٩٢٥م، يخبره انه لن يقوم باستقبال اي من العبيد اللاجئين الى دار القنصلية على الفور كونه لايريد ان تمتليء القنصلية بالعبيد الفارين في وقت حرب مما سيعقد المساعي الدبلوماسية، لكنه في المقابل سيتقيد بما نصت عليه اتفاقية بروكسل الأخيرة في الغاء الرق، باعتاقهم واطلاقهم احراراً في جدة – ولكنه اعترف بعدم جدوى ذلك كون العبيد المعاتيق يعودون الى ملاكهم السابقين تحيناً لأفضل فرصة لترك الحجاز الى بلادنهم الأصليّة.

واعلن بولارد بأن اول مسألة سيفاتح فيها ابن سعود عند سقوط جدة هي حثّه على الغاء العبودية. لكن بولارد اعترف بضعف موقفه التفاوضي، كون التقارير الصادرة مؤخرا من جنوب افريقيا تفيد بمهازل يقيمها ابناء جلدته البيض ضد السود، لكنه قرر انه سيركّز على قضية الغاء الرق في الحجاز من منطلقات انسانية صرفة لا مُسيّسة.

وكان بولارد يتنبأ بسقوط جدة الحتمي في يد جيش الاخوان، وهو لم يكن يخفي بغضه للعائلة الهاشمية في الحجاز. واعترف بولارد بأن الملك الجديد علي بن الحسين، كان نظرياً اكثر تحررا وانفتاحا من والده، وبانه ضد تجارة العبيد. وكان علي، قد استهل ولايته الدستورية على ما تبقى من اراضي الحجاز، باعطاء وعود للقنصلية البريطانية تقضي بتحرير كل الرق الموجودين في الحجاز، وإبطال تجارة العبيد ومعاقبة ممارسيها، حال انتهاء الأزمة القائمة واسترداد سلطاته لعافيتها. ثم اصدر قراراً نافذاً من حكومة الحجاز الدستورية يمنح العبيد حق الجوء للقنصلية البريطانية من جديد، خلاف التصلّب الذي ابداه والده.

ومع مارس ١٩٢٥م واشتداد أزمة حصار جدة، لجأت بعض عوائل

الحجاز الميسورة الى مصر طلباً للسلامة واعلاناً للحياد. وارسل بولارد القنصل البريطاني في جدة الى المعتمد السامي البريطاني بالقاهرة في العاشر من ابريل يناشده بايقاف كل من يصطحب عبيده معه وبأن يرغمه بقوة القانون على اطلاق سراحهم. كان الفارون من الحجاز يذهبون الى موانئ مصر والسودان كمجموعات عائلية تضم عشرين فرداً في المعدّل يرافقها خدم شخصيّون يدخلون مصر بجوازات (خدم) – لكن بولارد كان يصّر على ان هؤلاء رقيق تم شراؤهم. واخبر القنصل الهولندي في جدة، بولارد، بأن المطوّف الحجازي المعروف، السيّد محمد نور جوخدار يصطحب معه جارية جاوية اسمها (موار) اعيد تسميتها بنعيمة وانها تعمل عنده كجارية، وأن نور جوخدار في طريقه للسويس مع عائلته. فطالب بولارد من حاكم السويس تعقبّه ومعاقبته.

وفي رد من حاكم السويس في الثاني والعشرين من ابريل ١٩٢٥م الى قنصلية جدة.. أفاد بانه جرى تعقب الشيخ محمد نور جوخدار وتحديد مقر اقامته بفندق الحميدية بالسويس حيث كان يقطن مؤقتاً كلاجئ سياسي مع عائلته وخدمه ومن ضمنهم نعيمة، منذ الخامس من مارس ١٩٢٥م قادمين على متن الباخرة الايطالية إلتريسو. لكنهم وجدوا بعد اجراء التحقيقات سلامة موقفه، ورضا نعيمة التام بأوضاعها.

وأقرّ الشيخ الجوخدار في سير التحقيقات، بأنه اشترى نعيمة كجارية قبل عامين، من تاجر الحبوب الجدّاوي مصطفى اسلام مقابل خمسين جنيها استرلينيا، ثم منحها حريتها، وقام بتوظيفها لديه للخدمة المنزلية بناء على طلبها ومقابل راتب شهري قوامه ٣ ريالات مجيدية، وانه لا يعرف والديها وان كان يظن انهما يقطنان في جاوى. واقرّت نعيمة، وهي شابة في الخامسة والعشرين، بأن اسمها الفعلي موار، وانها ولدت في جزر الهند الهولندية وانها حينما كانت في الخامسة اختطفت عبر امرأة اسمها رحمة وهي التي قامت بتهريبها الى مكة حيث مكثت معها اثني عشر عاما ثم بيعت لأخت الشريف حسين التي باعتها بدورها للتاجر مصطفى إسلام ومنه لمحمد نور جوخدار. وان اسم والدها محمد طاهر من بوقس، وهو من رعايا هولندا. وان ابن مالكها السابق كان يتسرى بها. أما محمد نور جوخدار فقد اعتقها لوجه الله وان معاملته لها انسانية ونبيلة. وأكدّت بانها حرة بشكل تام وانها لا تريد ان ترفع اي دعوى وانها ترغب في الاستمرار كعاملة مع بيت جوخدار.

وأرسل بولارد الى مُفوّض الشرطة في بومباي في ٢٩ يونيو ١٩٢٥م يطالبه بتعقب أسرة الحاج عبدالله علي رضا، قائمقام جدة، ووكيل شركتيّ البواخر: ترنر مورسون وخطوط ناسا للملاحة البحرية في جدة – التي رحلت بحراً الى بومباي، يرافقها سودانيتان وامرأة يمنية اسمها (صفرار)، وحبشيّان هما: ريحان وتحسين – يعتقد بولارد بأنهم رقيق. كما طالب بولارد في ذات الرسالة بتشديد الرقابة على عوائل التجار الحجازيين القادمين الى كراتشي وبومباي هرباً من الحرب العامة، وضرورة التأكد من ان مرافقيهم الافارقة مجرد خدم يعملون مقابل أجرة متفق عليها لا رقيق.

وفي رد من شرطة بومباي في ٢٦ اغسطس ١٩٢٥م أفادت بتحرّيها الواقعة، لكنها برأت ساحة عائلة علي رضا كون الجوازات التي حملها الخمسة المذكورون تشير الى ان وظائفهم (عمال منزل) والى اقرارهم الشخصي بذلك، كما أكد مأمور الشرطة الى صعوبة اثبات عكس ذلك في اي محكمة هندية.

وحاول سكرتير المستعمرات في سنغافورة ملاحقة تاجر الأخشاب الشهير ومتعدد الجنسيات السيّد ابراهيم عمر السقاف على خلفية بلاغات من شرطة بنانغ حول تهريبه لفتيات صينيات صغيرات من سنغافورة الى مكة. كان السيّد (الداتو) ابراهيم، اكبر ابناء السيّد عمر السقاف، يتحدر من عائلة حضرمية الأصل استعرقت بين مكة وسنغافورة، ولها اعمال تمتد على طول امتداد فضاء المحيط الهندي الكبير. والسقّاف على امتداد ثروته وجاهه كان محسناً كبيراً، ينشط في مجال تبني الفتيات الصينيات الفقيرات لتحسين شروط معيشتهن.

وفي ١٧ مايو ١٩٢٤م، تابع سكرتير المستعمرات بلا غ اختطاف فتاتين صينيتين اسمهما مهجة ووهبة وعمريهما ١٦ و١٧ على التوالي، عبر السيد سالم بن شيخ السقاف، وثبت مع التحقيقات انهما كانتا ابنتان له وزوجه نور بنت طاهر السقاف بالتبني وانهما انتقلتا للعيش في قصر ابراهيم السقاف في المعابدة في مكة. وعبثاً حاول السكرتير اثبات انهما مسترقتان – الا انه عاد واعترف انه لا يملك اي دليل ادانة ضد السيد السقاف.

في الثاني من يونيو ١٩٢٥م ارسل القنصل بولارد من داخل سور جدة رسالة الى سلطان نجد، عبدالعزيز ال سعود يطلب منه تحرير مجموعة من الحجاج النيجيرين من رعايا بريطانيا الذين كانوا في طريقهم من المدينة الى جدة سيراً على الأقدام عندما أغارت عليهم جماعة من البدو وخطفتهم واستعملتهم كعبيد في ميناء القضيمة، وانهم محتجزون الآن في قصر بين رابغ وجدة في منطقة اسمها الخريبة [بئر مبيريك] من املاك شخص اسمه عبدالله. فابدى الطرف السعودي تعاوناً في ذلك.

وهربت (زهرة) من منزل آمنة بنت محمد الفضل في ٢٣ يوليو ١٩٢٥م ولجأت الى القنصلية البريطانية في جدة وطلبت اللجوء السياسي وارسالها الى وطنها السودان/ فاشر. وقد ارسل المعتمد البريطاني رسالة بذلك في اليوم التالي الى الشيخ فؤاد الخطيب. وتسببت الحادثة في احتجاج بعض الأهالي النافذين ضد تراخي حكومة الشريف علي.

وفي السادس والعشرين من اغسطس ١٩٢٥م، في أوج حصار جدة، طلب الملك علي من نائب القنصل البريطاني المستر جوردان التوقف عن استقبال اللاجئين، غير انه وعد بابطال العبودية تماماً بعد انتهاء الحرب، بيد انه لا يريد اضعاف موقفه مع التجار والمحليين في الوقت الحالي. وارسل المستر جوردان، وكان اكثر تفهماً من بولارد لوجهة نظر الملك علي، الى القيادة البريطانية في السودان مؤكداً موقف الملك علي المناهض للعبودية، انما المشروط بنظرة واقعية: (الملك علي لا تروقه مظاهر العبودية المنتشرة، لكنه ايضا اقرّ بصعوبة الغاء ذلك بشكل قاطع لتجذّر الممارسة لقرون، فيما المسألة ينبغي مباشرتها برفق وتدريج، وانه نظرا لخصوصية المسألة، فانه يريد تجّنب اصدار اي قرارات قد تضعف من شعبيته اثناء الأزمة السياسية المندلعة.. لكنه وعد بالغاء الرقيق فور استقرار الحجاز وانجلاء أزمته).

لكن الخارجية البريطانية التي كانت قد رجّحت موقفها في الحرب لصالح ابن سعود، لم تعطي بالاً لمطالب الملك علي. وفي تلغرام من الخارجية البريطانية، الى نائب القنصل أبدت الخارجية عدم اقتناعها بالمبررات التي ساقها الملك علي، وأفادت بأن القنصلية يجب ان تستمر في استقبال اللاجئين وفي ارسالهم الى ميناء سواكن بعد تحريرهم. في سبتمبر ١٩٢٥م لجأ السوداني (بلال) الى القنصلية البريطانية هارباً من مالكه الشيخ دخيل الله، والأخير تاجر مواد غذائية بشارع قابل التجاري، فوضعت القنصلية بلال في احد البواخر الراحلة لسواكن، غير ان دخيل اتهم بلالاً بسرقة صندوق جواهر منه، فطالبت الخارجية الحجازية عبر فؤاد الخطيب باعادته من الباخرة للمثول امام قاضي المحكمة الشرعية، ولكن لمماطلة المحكمة، بعد احدى عشر يوماً، من اصدار اي حكم، قام جوردان بتحدي السلطات الحجازية وترحيله الى السودان. وكتب جوردان في ١٤ سبتمبر شارحاً الى الخارجية البريطانية: (لقد اضحى من عادات ملاك العبيد اتهامهم بالسرقة عند فرارهم والحصول على احكام في صالحهم من المحكمة الشرعية، التي تنحاز دوما للملاّك).

كان ذلك التضعضع والارتباك المتصاعد من طرف القيادات والمؤسسات والأهالي كناية صريحة عن أفول عهد على الحجاز، وبداية عهد سياسي جديد. في ٢١ ديسمبر ١٩٢٥م سُلمت مفاتيح جدة سلماً الى السلطان ابن سعود، وبعدها بأيام أُعلن عن تأسيس الكيان الجديد (مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها) وهو بداية العهد السعودي على كامل أراضي الحجاز.

قفزات ملكية ناعمة ـ خشنة في الخليج

د. مضاوي الرشيد

رغم اختلاف التسميات من مشيخات وامـارات وملكيات مطلقة او شبه مطلقة، الا ان الانظمة الخليجية تشترك في قواسم مشتركة واضحة، بل اصبحت اكثر وضوحا خاصة تحت ضغط المرحلة التاريخية الاقليمية العربية، خاصة بعد سقوط صروح الجمهوريات وتهاويها الفعلي او القادم.

ظهرت اطروحات تحاول ان تعزل الملكيات عن محيطها الغربي، وتنأى بنفسها عن تداعيات التغيير التاريخي في المنطقة كأنظمة تختلف اختلافا كليا عن الجمهوريات، وتبشر باستمرار الملكيات؛ حيث يعتقد البعض انها ستنجو من موجة التغيير لما لها من ثروات نفطية تستطيع منظومة الولاء أن تستمر بها، مقابل تقديم الريع وتوزيعه على المواطنين. واعتقد البعض ان ديمومة الملكيات تعتمد على استمرارية الترويج لشرعية تقليدية، تستحضر الابويّة للحكام او دورهم في لحمة الوطن، على خلفية انقسام مجتمعي على محاور قبلية وطائفية ومناطقية. يرى المروجون للملكيات ان حنكة الحكام ـ او حتى تلاعبهم بالقوى الاجتماعية والسياسية والدينية ـ يمكنها احداث توازن يضمن بقاء الحكام على كراسي السلطة، واستمرارية الانقسامات المجتمعية مما يؤجل عجلة التغيير السياسي الحقيقي.

هناك رأي آخر ـ حسب البعض ـ اعتمدته الملكيات لضمان استمراريتها، يحاول ان يربط بين اعتدال القيادات مقابل تطرف البديل والذي سيظهر بوضوح عند اي فجوة او خلل سياسي، مما يرهب الناشطين والمجتمع، ويهول من مستقبل اسود تتحكم بالثروة والمصير فيه قوى سياسية ظلامية، تحاصر الحريات الشخصية، وتعيد عجلة التنمية الاجتماعية الى الوراء، وتزج بهذه المجتمعات في القرون الوسطى من جديد، بعد ان شهدت تنمية جبارة، وقفزات عالية في مجالات الحرية والكرامة والامن والامان!

وبعيدا عن الغوغائية والدعاية التي تضمنها وتشرف عليها اقلام نظامية ومؤسسات اعلامية عربية وغربية، اثبتت انها خطابات فارغة، لا تعتمد على تقييم واقعي لحالة الانظمة الملكية واستشراف مستقبلها.. نستطيع ان نحدد مسارات الحاضر والمستقبل، ونستشرف آليات واستراتيجيات اعتمدتها الملكيات المهزوزة حاليا، والتي هدفها ابعاد او تأجيل المواجهة بين الانظمة والحراك الشعبي بناء على معطيات واضحة مرصودة.

من اهم هذه الآليات: اعتماد الحكم بقفزات ناعمة حينا وخشنة حينا آخر. ومؤخرا بدأت الانظمة بطريقة مفضوحة الانحدار الى الحل الخشن الامني، المدعوم تشريعيا بقوانين جديدة، تضمن تجريم النقد، مستحضرة سلسلة من التشريعات والمصطلحات الجديدة، كعصمة الذوات الملكية والاميرية، وتحريم المظاهرات وحق التجمع، وانتهاك الحقوق الانسانية والمدنية والسياسية، تحت انظمة طوارئ غير معلنة. بدأ هذا الانحدار تحت ضغط الحراك المجتمعي السياسي، وتزايد وتيرته، وارتفاع سقف مطالبه على الساحة الواقعية والافتراضية معا.

وتظل هذه الملكيات والمشيخات مرتبطة بمنظومة عالمية عسكرية اولا، واقتصادية ثانيا، وسياسية ثالثا.. فهي محميات يضمن امنها الغرب، من خلال التسلح، والتقنية، وتوفير اجهزة المراقبة، والقمع المباشر بالسلاح، والتنصت، وانتهاك الحريات الانسانية والسياسية. واقتصاديا.. تظل الملكيات امتدادا للسوق الاستثمارية العالمية التي تصبو الى انفتاحها وجاهزيتها لاستمرار تصدير الطاقة، واستلام المنتجات الاستهلاكية، والاستثمارات العالمية. اما سياسيا.. فقد جاء الغطاء الغربي كمظلة تضفي الشرعية والدعم لانظمة تتناقض معطياتها مع المنظومة الراسمالية الغربية. الا ان هذه المنظومة تعتمد الصمت المطبق حيالها؛ بل هي


د. مضاوي الرشيد

تساعدها عملياً ومعنوياً على الاستمرار في ممارساتها السياسية الشاذة، وحتى الاقتصادية غير الشفافة، وقوانينها الضبابية. وتستعد المنظومة الغربية لاحتضان واحتواء سلبيات التشريعات المحلية، بتوفير مساحات لمحاكم خارجية، تبت بقضايا الاقتصاد، بعيدا عن سلبيات المحاكم الداخلية، كما حصل مؤخرا بين السعودية وبريطانيا، حيث ستوفر الاخيرة آلية قضائية تلجأ اليها الشركات الاجنبية عندما تحصل اشكالات بينها وبين الشركات السعودية المحلية.

ويعتبر هذا الغطاء الغربي الثلاثي حجر الزاوية في استمرارية الانظمة الملكية المتصدعة الى اجل غير مسمى.

اما على الصعيد المحلي، فقد جنحت الانظمة الملكية المطلقة او شبه المطلقة الى سلسلة من الاجراءات المسماة اصلاحاً، هدفها ليس تغيير العلاقة بين الحاكم والمحكوم، بل تثبيت الاول، وزيادة فرص بقائه. من هذه الاجراءات الناعمة ما يلي:

اولا: تثبيت وهم الاصلاح في المخيلة المجتمعية السياسية، عن طريق اجراءات محدودة، كفتح المجال لبرلمانات منتخبة في بعض الدول الخليجية، وتقييد صلاحياتها في نفس الوقت؛ واستقطاب المنتخبين تارة، وحل

برلماناتهم تارة اخرى؛ وتفويض حكومات معينة لا علاقة لها بطبيعة المنتخبين؛ تماما كما حصل في الكويت والبحرين.

ثانيا: تثبيت مبدأ الوعود الوهمية باجراء انتخابات مستقبلية، وتحديد شريحة ضيقة يكون لها الحق بالانتخاب رغم القيود المفروضة على الترشيح والتمثيل، كما يحصل مثلا في الامارات وقطر.

ثالثا: الاستغناء كليا عن المجالس التمثيلية المنتخبة، والاستعاضة عنها بتعيين بيروقراطية استشارية كبديل لمجالس تشريعية منتخبة، كما حصل في السعودية منذ اكثر من عشرين عاماً.

رابعا: التماهي في التشدق بحقوق المرأة وتمكينها كبديل لمواجهة الحراك السياسي العام؛ فتم وضع المرأة في مناصب نظامية (كما في السعودية) او حتى انتخابها (كما حصل في الكويت سابقا). وحاولت الانظمة الملكية (جندرة) ذاتها، او (نسونة) هيئتها، من اجل ان تستجدي اكثر الشرعية الدولية، وتستقطب شرائح داخلية تعتقد ان سقف المطالب يقف عند خطابات الدعاية لتمكين المرأة، وضرب القوى المجتمعية المعارضة لمثل هذا التمكين، من باب غوغائية الهوية، والحفاظ عليها من مخاطر استهدافها لتلك (الجوهرة المصونة). لقد اصبحت (جندرة) القيادات في الملكيات آلية جديدة لاستقطاب المرأة وحراكها ضمن اجندة النظام القمعي المتسلط.

خامسا: اعتمدت الملكيات مؤخرا سياسة التنوع الاقتصادي بعد اعتماد اقتصادها على النفط؛ وجاء هذا التنوع من باب لبرلة الاقتصاد وانفتاحه، مع ضمان المركزية الاقتصادية، وهيمنة الدولة على الثروة العامة. فانتقلت من اقتصاد نفطي صرف يعتمد النفط، الى جالب الارض كسلعة توزع اولا على افراد الاسر، وثم على بعض الشخصيات المستثمرة المحلية، بحيث تباع وتشترى رمال صحراوية، وشواطئ خليجية من اجل تنمية الاقتصاد السياحي او الصناعي، كما يحصل في المدن الصناعية الجديدة. وبهذا تضمن الاسر الحاكمة انخراط بعض العوائل التجارية القديمة والجديدة في مشروع الربح الجانبي الذي يعتمد على الغرب والولاء للسلطة السياسية. هذا ادى الى ارتفاع اسعار الرمال الصحراوية، وتقلص مساحات السكن الشعبية، وانتفاخ جيوب المنتفعين من توزيع الرمال التي اتت على شكل هبات مفضوحة، او صودرت من المجتمع، ومن ثم بيعت على بعض الشخصيات باسعار زهيدة، ومن بعد ذلك استثمرت وعرضت في سوق كبيرة متضخمة وبعيدة عن منال الاكثرية. واقترنت هذه السياسات الاقتصادية بوهم الاسهم والتلاعب بها، خاصة في مجال الشركات العامة والخاصة الكبيرة، واصبحت عرضة للتلاعب والتدخل الذي لم تتحصن منه اطياف المجتمع، خاصة وانها ظنت بها خيرا، ومن ثم صدمت بواقع استثماري تنعدم فيه الشفافية، ويغيب فيه دور المحاكم التي تبت بقضايا الخلاف والاختلاس.

وبينما ترفض الشركات الاجنبية الاحتكام في محاكم محلية، وتطالب بمحاكم اقتصادية في دول كبريطانيا مثلا، يجد المستثمر الصغير نفسه تحت رحمة محاكم غير مستقلة، لا تستطيع ان تتصرف بحرية في قضايا يكون فيها الخصم مدعوما سياسيا او اقتصاديا من السلطة العليا، والتي هي نفسها قد تكون خصما كبيرا ليس من السهل مقاضاته.

سادسا: اعتمدت الملكيات المطلقة وشبه المطلقة عملية استقطاب، بل تكوين مجتمع مدني زائف، يستمد شرعيته من السلطة وليس المجتمع، فكونت هذه الملكيات مجتمعا مدنيا حكوميا تحتضن فيه حراكا مرتبطا بالسلطة واجندتها، بعيدا كل البعد عن مفهوم المجتمع المدني السياسي المستقل. وحتى هذه اللحظة يظل الحجر قائما على الاحزاب السياسية، والحركات المهنية، والرابطات المستقلة، رغم تفاوت وتباين تطورها في المجتمعات الخليجية من الكويت الى السعودية مرورا بالبحرين.

سابعا: اعتمدت الانظمة الملكية تطوير امبراطوريات اعلامية ومراكز ابحاث دعائية وربطتها بنظيرتها في الغرب لتقمع التقييم الجاد لمعطيات المنطقة ومشاكلها المتنوعة، من باب اختراق المحافل الاعلامية والاكاديمية في مؤتمرات يتصدرها مثقفو السلطة ومناصروهم من النخب العلمية الغربية، وذلك عن طريق التمويل المباشر. ولم يتوقف الامر عند ذلك بل اخترقت الانظمة الملكية النفطية المجتمع المدني الغربي واصبح لها ممثلون في الجامعات، وحتى الملاعب الرياضية، لتربط نفسها اكثر واكثر في المنظومة الاقتصادية العالمية، وتنويع مصادر الاختراق غير النفطي الاستثماري.

واخيرا: تنبهت المنظومة الملكية المطلقة وشبه المطلقة لخطر الثقافة الدينية، حيث ظلت هذه الثقافة سلاحا ذا حدين، ومن هنا حاولت استقطاب مؤسسات دينية اسستها هي منذ البداية لتحتوي افرادها وتسلطهم كرقيب ديني على سلوكيات المجتمع والتربية والتعليم، وافراز خطابات الطاعة الموصلة شرعيا والتي تجرم انتقاد القيادات. ورغم ان السعودية تتصدر هذا المسار بسبب طبيعة تأسيس الدولة، الا انه حتى الدول الخليجية التي لم تنشأ تحت مظلة شرعية دينية انخرطت في المسار ذاته، وتبجحت بحفاظها على عفة المجتمع، وحمايته من الفساد الاخلاقي والانحلال، ومن ثم توجهت لدعاية تمويل المشاريع الاسلامية، ومناصرة المسلمين في بلاد الله الواسعة، لتضمن شرعية اسلامية عابرة للحدود، وتدغدغ مشاعر شرائح اجتماعية معينة، كلفتها بتدبير وتوزيع المساعدات الاسلامية الاغاثية حسب اهواء السلطة ومصالحها، وليس حسب معايير اسلامية صرفة.

رغم كل هذه الاجراءات الناعمة التي تمرست بها الملكيات الخليجية.. الا ان المجتمعات بدأت تصحو من سكرة النعومة الديكتاتورية المطلقة لتجد امامها اليوم الحل الخشن يتبلور بامتياز امام اعينها، ويتربص بها عند كل لحظة مصادمة مع السلطة. وكلما زادت وتيرة الحلول الخشنة الامنية والاستخباراتية والقمعية، ستظل هذه المنظومات الملكية تواجه خطر الانزلاق في متاهات العنف، وتبقي خيار المجتمع ونشطاءه مساحة مفتوحة قد تتطور في المستقبل بشكل دراماتيكي يصعب على القفازين احتواؤه في الامد البعيد. فالمستقبل هو بيد الشعوب الواعية المتراصة والمترابطة، خاصة شباب المرحلة الجديدة، الذي يرفض خنوع الاباء، وخطابات الابوة المزعومة، فيتواصل مع جيله، متجاوزا الآباء الوهميين والحقيقيين شركاء القمع التاريخي.

× عن القدس العربي، ٢٠١٢/١١/٤

وجوه حجازية

(١)
محمد بن سرور الصبّان
(١٣١٦ - ١٣٩١هـ)

رائد الأدب الحديث في الحجاز، ومن كبار رجال المال والأعمال. ولد بالقنفذة، ثم انتقل في طفولته مع أسرته الى جدة، والتحق بمدارسها، وكان والده يعمل في التجارة، فالتحق بمحل والده بمكة المكرمة بعد انتقال اسرته إليها.

وفي نهاية الحكم الهاشمي كان محمد بن سرور أحد الرجال البارزين، وهو الذي تولّى إبلاغ الحسين قرار أعيان الحجاز بأن يتنازل عن مُلك الحجاز، وحينما اكتمل احتلال عبدالعزيز للحجاز، تمّ تثبيت محمد سرور في وظيفة إدارية مرموقة في البلدية، وكانت همّته عالية فقد تدرّج في المناصب القيادية حتى أصبح وزيراً للمالية والإقتصاد الوطني، ثم أصبح أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي، وكان من أوائل المشتغلين بالأدب في هذه البلاد في عهدها الحديث، وهو أول من تولى إصدار أول كتاب أدبي، وأول من أسس مكتبة للطبع والنشر في البلاد، ورعى مالياً وإدارياً وأدبيّاً أولى الصحف في هذه البلاد وهي جريدة (صوت الحجاز) التي تحولت الى (البلاد السعودية)، ثم تغير إسمها الى (البلاد).

ولئن شغلته المناصب القيادية عن النشاط الأدبي المباشر، فإنه برعايته الخاصة لمعظم أقرانه ومن تلاهم من أدباء هذه البلاد ودعمه وتشجيعه لهم كان من أبرز من ساهموا في تنشيط العمل الأدبي تفكيراً وممارسة وتأليفاً ونشراً. توفي رحمه الله بمكة(١).

(٢)
عبدالرؤوف الصبّان
(١٣١٦ - ١٣٨٤هـ)

ولد بمكة المكرمة، وتلقى تعليمه الإبتدائي فيها، ثم رحل الى مصر فدرس بها وتخرج من دار العلوم، ويعتبر من أوائل المتعلمين الذين تلقوا دراسة منتظمة خارج البلاد في ذلك العهد. وحينما عاد الى الحجاز كان ثائراً على بعض مظاهر الحياة الإجتماعية التي كانت سائدة آنذاك. عُيّن عضواً بمجلس الشورى، ثم مديراً عاماً للأوقاف فأميناً للعاصمة المقدسة. توفي رحمه الله بلبنان(٢).

(٣)
محمود خليل بن حسين الصبان المكي
(... - كان حيّاً ١٣٦٤هـ)

ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، ثم رحل الى مصر وأقام بها نحو ثلاثة أشهر، ثم رجع الى مكة واجتمع بمشايخ أجلاء منهم السيد أحمد بن حسين العطاس وأخذ عنه وأجازه، كما أخذ من السيد حسين بن محمد الحبشي ولازمه وأجازة، وايضاً من السيد سالم البار، والسيد علوي بن أحمد السقاف. وأخذ عنه السيد أبو بكر بن أحمد بن حسين بن محمد بن حسين الحبشي العلوي، وأجازه في جميع ما أجازه به مشايخه. توفي في مكة المكرمة، وذلك بتاريخ ١٣٦٤/٣/٢٥هـ(٣).

(٤)
عبدالمحسن بن يعقوب الصحاف
(١٢٩١ - ١٣٥٠هـ)

شاعر عاش في بؤس. ولد في البحرين، وانتقل صغيراً مع والده الى مكة المكرمة فنشأ وتعلم فيها ومدح بعض الملوك والأمراء وأرباب المناصب، ولقب بشاعر البلاط الهاشمي، وارتفعت شهرته، وله حماسة وغزل، وخلف مجموعة من نظمه. توفي رحمه الله بمكة المكرمة(٤).

(١) الساسي، عمر طيب. الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، ص ٦١. و فبش، أحمد، تاريخ الشعر العربي الحديث، ص ٤٢٨. والمغربي، محمد علي، أعلام الحجاز، جـ١، ص ٢٤١. والساسي، عبدالسلام، شعراء الحجاز في العصر الحديث، ص ٢١. والزركلي، خير الدين، الأعلام، جـ٦، ص ١٣٦، وكذلك الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٦٧٣. وابن سلم، أحمد سعيد، موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين، جـ٢، ص ١٦٧، وفيه وفاته سنة ١٣٩٢هـ وأخيراً، معجم المؤلفين، جـ١، الطبعة الثانية، ص ٨٩.

(٢) المغربي، محمد علي. أعلام الحجاز، جـ١، ص ١٠٣. وانظر صحيفة البلاد، العدد ١٥١٦، في ١٤٠٤/٣/١٣هـ.

(٣) الحبشي، أبو بكر بن أحمد بن حسين، الدليل المشير، جـ٣، ص ٥٩٥.

(٤) الزركلي، خير الدين، الأعلام، جـ٤، ص ٢٩٦. أمين، بكري، شيخ الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص ٣٧٧. وكذلك رفيع، عمر، مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص ٣٣٤. وأيضاً أمين، بكري، شيخ الأدب الحجازي الحديث، جـ٣، ص ١٢١. والنبهاني، أحمد خليفة، أم القرى ١٣٥٠/١١/٢٤هـ والحامد، عبدالله، الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين، ص ٣٩٢.

حماة الأرض والعرض!

الملك عبدالله (أبو متعب) لم يدخل ميدان المنافسة في غزّة. قال بصراحة: للحروب رجال مغامرون متهوّرون، وأنا مدبّر مفكّر حكيم!

لم ينطق ببنت شفة وهو يرى شعب غزّة يذبح. لم يجد في غزّة نصراً مـؤزّراً يمكن أن يدّعيه أو يزعمه أو يشارك فيه، كما فعل آخرون.

رأى جلالته أن السكوت أحجى، وأن رضا واشنطن هو أقرب للتقوى!، وأن اضعف الإيمان قد تحقق بالدعاء على (وليس لـ) شعب غزّة ومن يؤازره!

صحف أبو متعب تلطم يميناً وشمالاً كلّ الدول الداعمة أو الزاعمة بالدعم!

(خضراء الدمن) مستاءة من ذكر (فجر ٥)، وطارق الحميد ـ الجاهل والأعمى حقداً ـ رأى أن نصر الله قد أدان نفسه حين قال بأن الصواريخ الإيرانية تمّ تهريبها من السودان جنوباً الى سيناء شمالاً، ومن الأنفاق في رفح، الى أيدي المقاتلين بوجه العدوان! قال الحميد: أرأيتم كيف أن الفرس يريدون تخريب الدول العربية؟!

الراشد في مقالاته وفي قناته (العبرية) تباكى كيف أن العرب لم يتعلموا درساً! وراحوا يكررون التجربة الخاطئة في مواجهة العدو التي لا تجدي. كل الناس بلهاء، إلا موظفي آل سعود. هم دائماً على الحق يدور معهم أينما دار!

عباقرة هم موظفو الإعلام السعودي، وما أكثرهم، وما أسخف ما يكتبون!

لازالوا وفي حمّى الصراع والقصف، يلطمون مرسي والإخوان، فلا شغل لهم إلا إفشال التجربة المصرية الإخوانية.

بعضهم يصفع تركيا التي تريد أن تهمّش الدور السعودي، بدل أن تقوّي (حماة السنّة وأسودها) في الرياض (المناضلة)!

كل ما يجري من قتل وحرب ودماء، مجرد show business، وحاشا لخادم الحرمين الشريفين أن يشارك في (مهزلة غزّة)!

لقد قدّم لهم نصيحة توزن ذهباً: اعقلوا، وصيروا حكماء! اتركوا عنكم الحرب والقتال، وانتظروا اصحاب العقل والحكمة مثلي! انتظروا نتائج مبادرتي للصلح مع اسرائيل التي وافق عليها (الذو عماء) العرب في بيروت!

أبو متعب خيّب آمال أسود السنّة الوهابيين، حيث لم يعلن (الجهاد المقدس) كما فعل الكذاب الأشر: فهد بن عبدالعزيز عام ١٩٨٢ في مؤتمر القمة بالمغرب! وحين قيل له: أين جهادك؟ قال: جهاد النفس! (عن فعل الخير طبعاً)!

أسود السنّة الذين تستهويهم الحروب الطائفية دون غيرها، كما يستهويهم قتل الأبرياء في الأسواق والشوارع، صفق بعضهم للصواريخ، وجعل نفسه متعامياً عن مصدرها، الذي لا فضل له ولا كرامة، بل هو عميل اسرائيل صهيوني أصلاً!

أسود السنّة لم يخرجوا الى الشوارع في الرياض وبريدة وغيرهما متظاهرين منددين بمجازر الصهاينة، بل الذي فعلها وتظاهر هم (روافض) الشرقية، (عملاء اليهود والنصارى)، بل هم (حمير اليهود) كما يروج بعضهم، في هذا الوقت أكثر من أي وقت مضى!

قال أبو متعب وأسود السنّة في بريدة والرياض، أن حزب الله عميل لإسرائيل (من تحت الطاولة) وكافر بما أنزل على رسول الإسلام، لا يجوز حتى الدعاء له بالنصر، كما أفتى بن جبرين، إن كنتم تذكرون. كان ذلك عشية حرب تموز ٢٠٠٦. ها هم سنّة غزّة هاشم يقرعون رأس الصهيوني بالصواريخ، فأين نصركم لهم، أيها الليوث الأشاوس؟ يا من وصلتم الى القوقاز، والى واشنطن، والى مجاهيل افريقيا، والى أندونيسيا، والى شرق الكرة الأرضية، تدفعون بالمقاتلين وبالأموال، وتبكون صبح مساء على المسلمين المضطهدين، ألا تخنقكم عبرة على أهل غزة؟ ألا تستطيعون ارسال بعض من دولارتكم ومفجّريكم وقتلتكم اليها ليواجهوا الصهاينة قبل أن يسقطوا في أحضان (الحور العين)؟!

خالد العمير، اعتقل في ٢٠٠٩/١/١ لمحاولته الإعتصام السلمي احتجاجاً على اسرائيل أثناء حرب غزة الأولى. لم يتم الإعتصام واعتقل الرجل وهو في الطريق للمشاركة فيه!

وحوكم العمير بأحكام غريبة من قبل قضاة آل سعود (حماة السنّة)، وصدر بحقه السجن لثمان سنوات. كان معه محمد العتيبي في السجن، وهو قد حكم أيضاً بثمان سنوات لذات التهمة، ثلاث منها سجن، وخمس يمنع فيها من السفر. يقول العتيبي أن القاضي (المؤمن الموحد غير المشرك بالله): (أداننا بتهمة الشروع في الاعتصام السلمي، والخروج على ولي الأمر. لا ادري ما دخل اعتصام سلمي ضد إسرائيل في الخروج على الحاكم؟).

ويضيف العتيبي: (في جلسة الاستماع للدعوى، تَلاَ المدعي العام الدعوى وذكر فيها إنني مثير للشغب، وخارج على ولي الأمر؛ وطالب بتعزيري تعزيراً قاسياً ومنعي من السفر؛ وعلى خالد العمير مثلي وزيادة لأنه قام بتصوير السجين خالد الصيعري الذي عذب في السجن. ضمن ما ادّعي على خالد العمير انه أدخل صبغاً احمر لصبغ السجين لتشويه سمعة المملكة ـ يعني أن التعذيب ليس صحيحاً. وكأن التعذيب في السجون يخفى على الناس. تم التحقيق مع السجين الصيعري المعذب ليس عن تعذيبه، بل عن الصور كيف نشرت، وكان الرقيب الذي عذبه يمارس صلاحياته ويعمل بشكل طبيعي بعد انتشار الصور، بل تم التضييق على السجين ولفقت ضده تهم أخرى حتى تنازل عن الرقيب الذي عذبه).

أمثل هذا النظام، وطبّالوه الأشاوس يحررون أرضاً أو يحمون عرضاً.

مبروك عليكم أبو متعب، وحكم آل سعود بن مردخاي!







إتصل بنا

(شكراً قطر) يغضب السعوديين

صانعة الحروب تثأر لنفسها في حكومة السنيورة

من يرقب ملامح وجه وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل وهو يستمع تحت قبة البرلمان اللبناني الى كلمات الشكر والثناء التي كانت تنهال على أمير قطر ورئيس وزرائها تلفته تلك الغصة المكتومه التي حاول الفيصل كبتها ولكنها تسربت الى إبتسامته الغائضة، فقد وجد نفسه في أجواء ليست مريحة خصوصاً وهو يستمع إلى رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي تعمّد في إظهار فرحته الغامرة بنجاح الدور القطري وإطرائه المتكرر على الشيخ حمد، الذي حياه بحفاوة خاصة، بعد أن ختم حوار الدوحة بعبارة إطراء متميّزة (إذا كان أول الغيث قطرة، فكيف إذا كان قطر).



(الحجاز) انفردت بكشف قصة الإنقلاب في سوريا بتمويل سعودي

هل تقوّم السعودية سياستها الكارثية؟

في 15 أكتوبر 2006، نشرت (الحجاز) مقالاً تحت عنوان (السعودية تتبنى بشكل صريح مشروع إسقاط النظام السوري)، تناول طبيعة التحركات السعودية المريبة إزاء الحكومة السورية والتي بدأت بدعوة نائب الرئيس السوري السابق المنشق عبد الحليم خدام لزيارة الرياض، حيث التقى الملك وولي العهد الأمير سلطان، وكان لقاء قد جمع رفعت الأسد، شقيق الرئيس السوري السابق حافظ الأسد ونائب الرئيس الأسبق، مع خدام في الرياض لوضع خطة إطاحة نظام الرئيس السوري بشار الأسد.


من يتآمر على الآخر؟!

وهذه الأنباء، حسب الحجاز، (جاءت في سياق أنباء أخرى حول دعوة الولايات المتحدة لرفعت الاسد من أجل مناقشة مستقبل سورية ومصير نظام الحكم فيها!!).

أربع إتفاقيات أمنية بين الرياض وواشنطن

السعودية.. قلعة إستراتيجية أميركية

بدأت تلميحات متقطعة تصدر عن الجانب السعودي بشأن إتفاقيات أمنية في أغسطس من العام الماضي، حين بدأ الحديث عن عمليات تطويرية لقوة امنية لحماية المنشآت النفطية في البلاد، قوامها ألف عنصر امني. وقال اللواء منصور التركي المتحدث الأمني بوزارة الداخلية لصحيفة (الشرق الأوسط) السعودية في 30 اغسطس 2007، بأن (هذه القوة الأمنية تأتي في إجراء يتناسب مع متطلبات المرحلة الراهنة). وبحسب الصحيفة فإن



حول اعتقال الناشط الحقوقي متروك الفالح

دعت منظمة العفو الدولية في بيان عاجل لها (2008/5/20) الى ضرورة إطلاق سراح الدكتور متروك الفالح من السجون السعودية. ففي 19 مايو 2008 قبض على الدكتور متروك الفالح، وهو أكاديمي وناشط سعودي في مجال حقوق الإنسان، ووضع بمعزل عن العالم الخارجي في مقر المباحث العامة، وأصبح عرضة لخطر التعذيب وغيره من ضروب إساءة المعاملة.

الطيب: الوطن ليس ملكاً لفئة

أثار اعتقال الإصلاحي الدكتور متروك الفالح ردود فعل غاضبة، خاصة وأن طريقة الإعتقال بدت وكأنها اختطاف، بلا مبررات قانونية وبدون توضيح الإتهامات وبدون التواصل مع محامين أو مع عائلته. وشمل التعاطف مع الفالح عدداً كبيراً من الناشطين الحقوقيين، ومن منظمات المجتمع المدني في داخل وخارج المملكة، كما شمل العشرات من المثقفين والسياسيين.

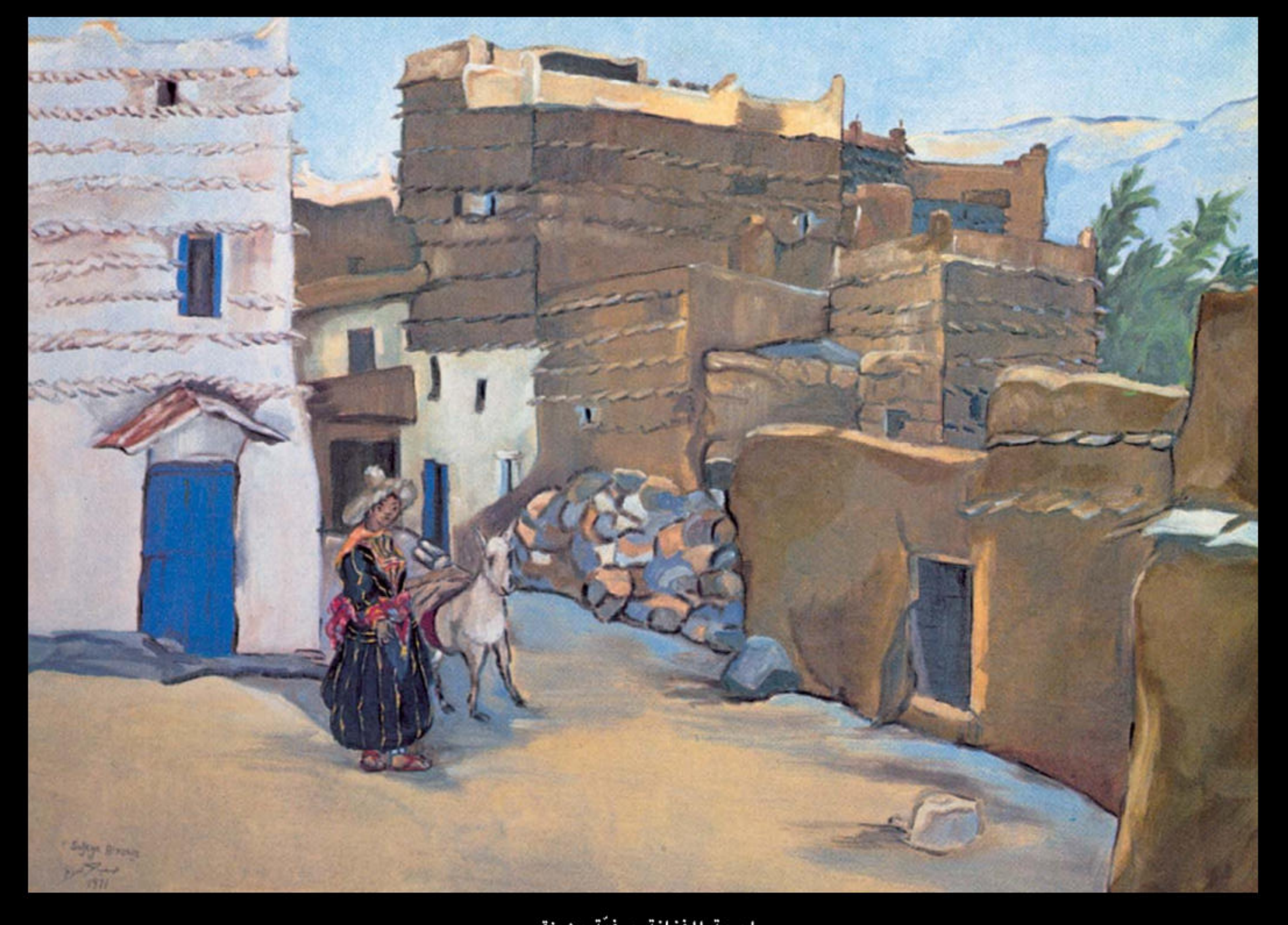
خالد العمير... (الداخليّة) مازالت في غيّها وهي العدو!

مرة أخرى اقتيد د/ متروك الفالح من وسط مكتبه في حرم الجامعة المصون الذي لم يعد له حرمة كغيرة من الأماكن في هذا الوطن. لقد اعتقل د/ متروك الفالح عام 2004 م في نفس المكان وكانت قوات المباحث تسحبه على الأرض سحباً في مشهد يدل على حقارة مرتكبيه. كان ذنبه الوحيد أنه أراد أن يرى هذا الوطن شامخا عزيز بين الأوطان، وطن يحكمه دستور يحفظ حقوق الإنسان ويفصل السلطات ليعرف المواطن مالذي له ومالذي عليه ولكن كان جزاؤه هو ورفاقه السجن.

وداعاً مكّة!

لم يتبق إلا القليل من مكة.. التراث والتاريخ والعبق الديني.

لقد امتحنها الله امتحانات شتّى كان أشدّها سيطرة صنفين من البشر أتيا على روحها: جماعة بدوية قبليّة جاهلة لا تفهم معنى



لوحة للفنانة صفيّة بن زقر